مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

الموقف الثقافي

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

العدد العاشر - الثقافة والمثقف

عنوان ثقافي يتم من خلاله رصد موقف المثقفين بشكل نصف شهري من حالة ثقافية معينة بحسب المجال الثقافي سواء كان مسرحا أو سينما أو أدباً وغيرها من تجليات الثقافة المشمولة بالتعريف الواسع للثقافة والمعتمد رسمياً في السعودية ودول الخليج، علاوة على المنظمات الثقافية الدولية والعربية

مركز الخليج للأبحاث
البرنامج الثقافي والإعلامي
نوفمبر - 2024

إخلاء مسؤولية:

الأراء ووجهات النظر الواردة في هذا العدد تمثل الكتاب والمثقفين المشاركين ولا ينبغي أن تنسب إلى مركز الخليج للأبحاث.

المدخل

باتت الثقافة مصطلحاً إشكالياً فالكل له تعريفه بين من يُضيق مساحتها وبين من يُوسعها، وهناك من يختزلها في قضايا وأجناس أدبية محدَّدة، وغيرهم يرونها مظلَّة تلتئم في ظلالها مختلف الفنون والمعارف، لكن، وعلى الرغم من هذه الاختلافات فقد ظلَّت «الثقافةُ» عنواناً وهوية لأي مجتمع قديماً وحاضراً ومستقبلاً

والاختلاف في تحديد مفهوم «الثقافة» له انعكاسات خطيرة على الواقع، إذْ يخشى كثيرون أنْ يؤدي توسيع مفهوم «الثقافة» إلى تمرير مضامين لا صلة لها بالمعرفة تحت اسم «الثقافة»، وبالتالي تشويه المشهد الثقافي وإغراقه بالتافه والسطحي، فيما يخشى آخرون أنْ يؤدي تضييق مفهوم «الثقافة» وحصره في بعض الممارسات النخبوية إلى نوع من «الوصاية» وإقصاء العديد من المنخرطين في المشهد بحجة عدم الانتماء

وإلى جانب الاختلاف في مفهوم «الثقافة» هناك اختلافٌ آخر في مفهوم «المثقف» ومن له الحق في الاتصاف بهذا الوصف، إذْ يبدو هذا الوصف مستباحاً في ظل ضبابية المعايير، وعدم قدرة المؤسسات الثقافية في العالم العربي على الخروج بتصور واضح.

كذلك تثار إشكاليات أخرى تتعلَّق بـ«الوسيط الثقافي إعلامياً» وذلك في ظل هيمنة وسائل التواصل الاجتماعي على المشهد، وتغييبها للوسائط التقليدية كالكتب والمجلات والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، مع نشرها في الوقت نفسه «ثقافة الدقيقة ونصف» القائمة على الاختزال والتسطيح

في هذا الإطار، ورغبة من البرنامج الثقافي في «مركز الخليج للأبحاث» في مناقشة هذه القضية وبحثها من مختلف الأوجه بما يعمق فهمنا للحالة الثقافية في العالم العربي، فقد استطلع البرنامج الثقافي رأي عدد من المثقفين العرب في هذه القضية، مستأنسا بالأسئلة الآتية:

- **كيف نضبط مصطلح «الثقافة» و«المثقف» ونحدد معاييره؟**
- **كيف يمكن للمؤسسات الثقافية الرسمية الإسهام في ضبط مفهومي «الثقافة» و«المثقف»؟ وما الدور المناط بها في هذا الصدد؟**
- **ما هي برأيك الأخطار المرتبطة بتضييق مفهوم الثقافة أو توسيعه؟**
- **ما «الوسيط» الأنسب للثقافة؟ وهل تستطيع وسائل التواصل الاجتماعي أنْ تعوض الوسائط التقليدية للثقافة كالكتاب، والصحافة والمجلات، وبرامج الإذاعة والتلفزيون؟**
- **في ظل سهولة الطباعة وسهولة إصدار العديد من الكتب والروايات، ودون النظر إلى متانة جودتها منهجيا وفنيا، هل يعد ذلك معيارا كافيا ليلج المرء نادي الثقافة والمثقفين؟**

وفيما يلي نورد إجابات المثقفين المشاركين مرتبة أبجدياً.

د.أحلام نويوار

باحثة ومترجمة - المغرب

يُتداول مصطلح الثقافة على نطاق واسع رغم أنَّ مقاربة إشكالاته تظل أحياناً مستعصية حتى على النخب العلمية المتدرجة في بحور المعرفة، والتي تجدها في الغالب أكثر تحفظاً في استعمال هذا المصطلح، وتنأى بكثير من الحذر والوعي المعرفي عن إغداق لقب المثقف عليها.

فهل هناك فعلاً حاجة الى إعادة صياغة مفهوم الثقافة تبعاً للمتغيرات العالمية، أم أنَّ الأمر يتعلَّق بإشكالية تواصلية بين المثقف والمجتمع؟

لعل هذا السؤال يحمل في طياته شطر الجواب، حيث يعتبر مفهوم الثقافة إلى جانب مفهوم المثقف من أكثر المصطلحات تداولاً واستعمالاً، مما يوحي بنوع من الاستسهال والاستهلاك لمفهوم إشكالي يتخذ معاني مختلفة تبعاً للحقل المعرفي المرجعي، فهذا المفهوم يتواجد في ملتقى عدة حقول معرفية كالدراسات اللغوية والتاريخية والإبستمولوجية والسوسيولوجية والأنثروبولوجية والسياسية وغيرها من المقاربات المختلفة التي تتيح الاقتراب من هذا المفهوم وضبط معايير تعريفه

يعتبر مفهوم الثقافة إلى جانب مفهوم المثقف من أكثر المصطلحات تداولاً واستعمالاً، مما يوحي بنوع من الاستسهال والاستهلاك لمفهوم إشكالي يتخذ معاني مختلفة تبعاً للحقل المعرفي المرجعي.

إنَّ مصطلح الثقافة نفسه، الذي يتعارض تقليدياً مع الطبيعة، هو موضوع تعريفات عديدة تعكس المقاربات المختلفة التي تحاول تفسير الأنشطة البشرية. ففي عام 1952، كتب ألفريد كروبر وكلايد كلوكن قائمة بأكثر من مائتي تعريف مختلف لكلمة ثقافة في كتابهما "الثقافة: مراجعة نقدية للمفاهيم والتعريفات"، وذلك يرجع أساساً لتغيّر معنى هذا المصطلح على مرّ التاريخ.

في القرن التاسع عشر، كان المفهوم يشير إلى المعرفة العامة للفرد ككل، كما يتضح من التعريف الوارد في قاموس بيشيريل لعام 1862. وابتداءً من النصف الثاني من القرن العشرين، اتخذ مصطلح الثقافة معنى آخر، فبالإضافة إلى المفهوم الفردي للثقافة (البناء الشخصي للمعرفة)، فقد أصبح يشير إلى مفهوم جماعي وهو (مجموعة من البنى الاجتماعية والدينية). وبهذا تصبح العناصر التي تساهم في بناء الهوية الثقافية أكثر تعقيدًا.

وفي مقاربة تربط بين علم النفس والأنثروبولوجيا، ترى جينيفيف فينسونو في كتابها "الثقافة والسلوك" أن الثقافة عنصر مكتسب في السلوك الإنساني، وبالتالي فإن الثقافة تنتقل من شخص إلى آخر من خلال التعلم والمحاكاة وتكامل عدة عمليات

لقد تناولت أنثروبولوجيا القرن العشرين هذه القضايا المعقدة المتعلقة بالهوية الثقافية. ويعد فرانز بواس، على وجه الخصوص، من بين علماء الأنثروبولوجيا الأوائل الذين انتقدوا الافتراضات التطورية واهتموا بتنوع الثقافات المختلفة، مشدداً على أن "كل مجموعة ثقافية لها تاريخها الفريد"

من غير الممكن إقامة تطابق صارم بين مجتمع ما (عرقي أو قومي) ومجموعة من الممارسات أو القيم المشتركة بشكل موحد، نظراً لارتباط الهوية الثقافية دائمًا بالتاريخ الذي هي جزء منه، وبالتالي فهي أقل استقرارًا وحسمًا مما يقال غالبًا

ومن المنظور نفسه، يميز كلوكن بين الأنماط الضمنية كاللغة والأنماط الصريحة كالعادات والملابس والنظام الغذائي. وبالنسبة لروث بنديكت، فإنَّ الوحدة المهمة في تحليل ثقافة معينة هي، من ناحية أخرى، التكوين الثقافي (أنماط الأنماط)، أي الترتيب الفريد لمجموعة من السمات المشتركة للممارسات الثقافية لمجتمع معين لتحديد ما يجعل هويته تظهر على أنها تماسك بين عناصر معينة.

ومع ذلك، فإنَّ هذه المقاربات للثقافة ليست محل إجماع، إذ تُنتقد لعدم مراعاتها بما فيه الكفاية للطبيعة الديناميكية للثقافة، حيث يصعب حصر قيمها وخصائصها من أجل إبراز تماسكها في لحظة تاريخية معينة.

فمن غير الممكن إقامة تطابق صارم بين مجتمع ما (عرقي أو قومي) ومجموعة من الممارسات أو القيم المشتركة بشكل موحد، نظراً لارتباط الهوية الثقافية دائمًا بالتاريخ الذي هي جزء منه، وبالتالي فهي أقل استقرارًا وحسمًا مما يقال غالبًا

ومع ذلك، فقد أصبحت هذه الخاصية أكثر وضوحًا في العقود الأخيرة بعد تطور الاتصالات والتبادلات التي زادت من درجة تعرض كل واحد منا لأنماط مختلفة للحياة أو التفكير لدرجة الوعي بمدى الخطر

الذي أصبح يهدد التنوع الثقافي في ظل هيمنة الثقافة الأكثر جاذبية والمدعومة إعلامياً واقتصادياً

ولعل هذا التطور المفصلي في السنوات الأخيرة يستدعي مقاربة جديدة تستجيب للحاجة الملحة التي يمليها الاستعمال الواسع لمصطلح الثقافة وتتيح كذلك الانتقال من حالة الاستسهال والتعميم الى حالة الوعي

أمام التراجع الملحوظ لدور المثقف وانكماشه يذهب البعض إلى حد القول بـ»موت المثقف» في عصر الانتقال الرقمي وغيابه عن قضايا العالم الواقعي والعالم الافتراضي وعزوفه عن البدائل التواصلية التي تحظى بجاذبية كبيرة وسلطة لامحدودة

والتقنين بضبط هذا المفهوم والوعي بدور المثقف والثقافة في بلورة الهوية الفردية والجماعية وإنتاج أنساق معرفية وقيمية تواكب متطلبات العصر.

وأمام التراجع الملحوظ لدور المثقف وانكماشه يذهب البعض إلى حد القول بـ"موت المثقف" في عصر الانتقال الرقمي وغيابه عن قضايا العالم الواقعي والعالم الافتراضي وعزوفه عن البدائل التواصلية التي تحظى بجاذبية كبيرة وسلطة لامحدودة

ولكن كيف ذلك وكيف نميز المثقف عن المتثاقف ما دمنا في عصر يفتي فيه المؤثرون في مواقع التواصل الاجتماعي في الطب والدين وعلم النفس والسياسة والفن إلى غير ذلك؟

وفي وقت يخيم فيه صمت المثقفين أمام العديد من الظواهر والقضايا التي تقتضي مواقف صريحة تهتدي بها الأفراد والجماعات وتصحح مسارات وانزلاقات تخص الشأن العام وتهدد حاضر ومستقبل المجتمع، يعلو صوت الجهل والتقليد والتفاهة والاضمحلال الفكري والأنماط السلوك الدخيلة والمشينة التي تقتضي التوجيه والتصحيح.

موت المثقف مرتبط أيضاً بالصعوبات التي تواجهه حيث أصبح أمام تحدياتٍ جديدةٍ مرتبطة بالتكنولوجيا والإنترنت جعلت من الصعب بمكان التأثير على الرأي العام في عصر تهيمن فيه مواقع التواصل الاجتماعي، ممَّا يفرض على المثقف الانسحاب أو التكيف مع هذه التحولات الاجتماعية والفكرية.

ولكن كيف ذلك وكيف نميز المثقف عن المتثاقف ما دمنا في عصر يفتي فيه المؤثرون في مواقع التواصل الاجتماعي في الطب والدين وعلم النفس والسياسة والفن إلى غير ذلك؟

المثقفون بوصلة الأمم وصمام أمانها ودليلها نحو الرقي والازدهار ولقب المثقف يضع على عاتق صاحبه مسؤولية معرفية وإنسانية جمة وليس بأي حال امتيازا أو نوعا من البريستيج

بعيداً عن محاولة الإجابة عن هذا السؤال صار لزاماً الإقرار بدور هؤلاء المؤثرين الجدد في تشكيل ثقافة هذا العصر ونقلها إلى الناشئة في ظل تراجع دور المثقف في إنتاج ثقافة تسهم في تشكل الهوية الفردية والجماعية وفي عصر أصبح فيه "المثقف" يجد في هذه الصفة امتيازاً و بريقاً إعلامياً يسمو به إلى مصاف النخبة، في حين أن التاريخ يحمل شواهد كثيرة عن دور المثقف وتضحياته الجمة في سبيل إعلاء كلمة العلم وابداء الرأي في القضايا الجوهرية وتصحيح مسار المجتمع، فالمثقفون بوصلة الأمم وصمام أمانها و دليلها نحو الرقي والازدهار ولقب المثقف يضع على عاتق صاحبه مسؤولية معرفية وإنسانية جمة و ليس بأي حال امتيازا أو نوعا من البريستيج الاجتماعي

التطور التكنولوجي أصبح يحتم الانفتاح على الكتاب الرقمي ووسائل التواصل المتاحة وإنتاج محتوى ثقافي ومعرفي منسجم مع القيم الاجتماعية والإنسانية وقادر على الرقي بالذوق العام

يضطلع المثقف كوسيط بأدوار مهمة يمكن أن تسهم في التطور الفكري للمجتمع وقيادة التغيير وتوجيه الرأي العام ونشر الوعي والتثقيف بين أفراد المجتمع، خاصة وأن الثقافة أصبحت أكثر انتشاراً وتنوعاً مع ظهور الشبكة العنكبوتية ووسائل التواصل المرتبط بها وهيمنة فكر العولمة وما صاحبها من طفرة في القيم المجتمعية والاتجاهات والمواقف المرتبطة بها

وإذا كان الكتاب يلعب دوراً رائداً في نشر الثقافة فإنَّ التطور التكنولوجي أصبح يحتم الانفتاح على الكتاب الرقمي ووسائل التواصل المتاحة وإنتاج محتوى ثقافي ومعرفي منسجم مع القيم الاجتماعية والإنسانية

وإذا كان الكتاب يلعب دوراً رائداً في نشر الثقافة فإنَّ التطور التكنولوجي أصبح يحتم الانفتاح على الكتاب الرقمي ووسائل التواصل المتاحة وإنتاج محتوى ثقافي ومعرفي منسجم مع القيم الاجتماعية والإنسانية وقادر على الرقي بالذوق العام فالثورة الرقمية وما صاحبها من تغيرات تفرض إعادة النظر في دور الإعلام والوسائط الثقافية وآليات الكتابة والنشر، وكذلك أنماط التلقي الجديدة الأكثر ملاءمة لتطلعات واهتمامات الأفراد والجماعات

في الحاجة إلى الثقافة كما في الحاجة إلى القيم ومساءلة الهوية الثقافية في عصر الرقمنة تكمن عدة إمكانيات للتفكير وتجاوز حالة التيه والاستهلاك الأعمى لقيم مبتذلة عابرة للقارات تطغى فيها سلطة المادة وثقافة الاستهلاك...فيظهر جلياً دور المثقف كإنسان يجعله وعيه المعرفي أكثر إدراكاً لمحدودية معرفته وأكثر وعياً بمسؤوليته تجاه مجتمعه، بل تجاه الإنسانية أيضاً بما ينتجه من خطاب فكري ونقدي يواكب الإشكالات المعرفية والأحداث السياسية والظواهر الاجتماعية

الموقف الثقافي - الثقافة والمثقف

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

د. الحسين غزوي

مدير الإدارة الثقافية في الأمانة العامة لمنظمة التعاون الإسلامي . المغرب

تعبر الثقافة بمفهومها الواسع عن مجمل أنماط حياة المجتمعات البشرية بكل جوانبها المادية والمعنوية وتشمل كل نماذج الإبداع البشري من معتقدات وقيم وعادات وأساليب تفكير وسلوكيات وطرق عيش وفنون وتراث وابتكارات وغيرها من مكونات النسيج الاجتماعي والسياسي والاقتصادي المعقد الذي قام الإنسان عبر العصور بإبداعه وتطويره ونشره

ويتوسع تعريف الثقافة كنسق اجتماعي ليشمل كل الأنشطة التي يقوم بها الإنسان والتي تميزه عن باقي الكائنات الأخرى. فالنظام السياسي لمجتمع ما هو نوع من الثقافة السياسية الخاصة بذلك المجتمع باعتبارها نظاماً لتدبير وتحديد العلاقات بين مختلف السلطات ووسائل إدارة الحكم واحتكار حق استخدام القوة لبث النظام وتحقيق السلم الاجتماعي والاستقرار السياسي الذي يتيح للإنسان المواطن إمكانية المشاركة السياسية والاقتصادية وحرية العمل والابتكار وخلق الثروة وتطوير المجتمع.

> النظام التعليمي يشكل جزءاً من ثقافة المجتمعات، باعتباره الأساس لصنع المواطن المثقف والمتعلم والواعي

كما أنَّ النظام الاقتصادي هو جزء من ثقافة المجتمع كونه يحرص على تنظيم وسائل الإنتاج وآلياته وعلى توزيع الثروات ووظائف العمل وفتح المجال للمبادرات المبتكرة في كل مجالات الاقتصاد كالتكنولوجيا ووسائل الاتصال ووسائط المواصلات والصناعات المختلفة التي تتيح ازدهار وتقدم المجتمعات البشرية وضمان اكتساب أساليب القوة. كذلك فإن النظام التعليمي يشكل جزءاً من ثقافة المجتمعات، باعتباره الأساس لصنع المواطن المثقف والمتعلم والواعي، الذي يستطيع من خلال الوسائل التعليمية المتاحة شحذ صفات المواطنة المسؤولة وخلق فرص الابتكار والإبداع والتطوير في كل مناحي الحياة

وإذا كانت الثقافة ترمز للتراث الإنساني للمجتمعات وتتطور بتقدمها وتفاعلها مع ثقافات الشعوب الأخرى وما يطبع ذلك من تبادل للتجارب والأفكار، فإنَّ الثقافات الأقوى والأكثر انفتاحاً على التطور والابتكار والأكثر استعداداً للاحتكاك مع الثقافات الأخرى دون مركب نقص تكون لها القدرة على التأثير

في ثقافات المجتمعات الأقل قوة ونجاحاً، بفضل ديناميتها وقدرتها على الانتقال والانتشار الذي تسهم في توفيره وسائل الاتصال المتجددة والمبتكرة واللغة وقوة العلوم والتكنولوجيا والإبداعات الفكرية والفنية

ويرتبط مفهوم المثقف بفئة من المجتمع تمتلك فكراً وثقافة وتحمل مشروعاً مجتمعياً متجدداً يرنو إلى تمكينه من مسايرة الركب الحضاري وأهداف التنمية الشاملة والتنافس مع باقي المجتمعات على أسباب الريادة والتقدم والتطور الفكري والتقني. ودور المثقف هنا هو العمل على شحذ أفكاره ورؤاه وإبداعاتها وابتكاراته بهدف المساهمة الفاعلة فكرياً وإبداعياً في إعداد المحيط الأنسب لتطور هذا المشروع المجتمعي ومده بوسائل الاستدامة والتطور عبر استكشاف نواقصه ومصادر قوته وتعزيزه بالأفكار المبتكرة.

ومن بين الشروط التي يجب أن تتوفر في المثقف هي الجرأة والشجاعة في التعبير عن الذات وإبداء الرأي ونقد ما يُعتقَد أنها

يرتبط مفهوم المثقف بفئة من المجتمع تمتلك فكراً وثقافة وتحمل مشروعاً مجتمعياً متجدداً يرنو إلى تمكينه من مسايرة الركب الحضاري وأهداف التنمية الشاملة

أمور بديهية في المجتمع بحيث يكون متاحاً كسر التابوهات وخلق نقاش مجتمعي جدي بهدف تنوير الرأي العام والتأثير فيه بإيجابية وإبراز الحقائق باعتماد النقد البناء وتحليل الأحداث المؤثرة والابتعاد عن تقديم أفكار متجاوزة، مبتذلة ومستهلكة

كما يرتبط مفهوم المثقف بالمساهمات الفكرية النظرية التي تؤسس للظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتي تقود المجتمع في اتجاهات محددة من حيث الأيديولوجيا السياسية المهيمنة والنمط الاقتصادي المسيطر وطبقة الحكم التي تحتكر السلطة وتتحكم في الثروات وتحدد العلاقة مع الطبقات الاجتماعية الأخرى

يكون المثقف ذا تأثير كلَّما استطاع الابتعاد عن المناطق الرمادية واتخذ مواقف ملتزمة ومناضلة بواسطة إبداعه الفكري

ويكون المثقف ذا تأثير كلَّما استطاع الابتعاد عن المناطق الرمادية واتخذ مواقف ملتزمة ومناضلة بواسطة إبداعه الفكري تمكنه من استقطاب فئات اجتماعية كبيرة لإنتاجه الفكري والثقافي حيث يرون في مشاريعه فرصة للتخلص من الإرهاصات الناجمة عن صراع السلطة واحتكار وسائل الإنتاج، والتي تمس بشكل مباشر مصادر أرزاقهم وتهدد السلم المجتمعي وتدفعهم بقوة للهامش. لذا، فإنَّ وظيفة المثقف تنويرية بالدرجة الأولى تهتم بتكريس القيم الأخلاقية في المجتمع وتدافع عن العدالة والحقوق وعن الديموقراطية والحرية والتنوع الثقافي ومبادئ التسامح والتعايش والمبادرات الفردية والجماعية الهادفة

من وجهة نظري، فإنَّ وظيفة المؤسسات الثقافية الرسمية هي توفير ظروف ممارسات ثقافية سليمة عبر العمل على تهيئة وإتاحة البنيات المادية الثقافية كالمسارح ودور الثقافة والنشر والتوزيع ودور السينما والمعارض ومؤسسات الابتكار والإبداع والصناعات الثقافية للمثقفين والادباء والشعراء والفنانين والمبدعين في مختلف المجالات، مع ترك مساحة فاصلة بين واجب تقييم جودة المنتوج الثقافي وممارسة دور رقابي يخنق الإبداع ويوجه الممارسة الثقافية في اتجاه خدمة أجندات

وأهداف معينة. ذلك أنَّ دور المؤسسات الرسمية هو دور تسهيلي بمعنى الحياد وأخذ مسافة واحدة من المثقفين والمبدعين في مختلف المجالات ذات الطبيعية الثقافية بطريقة تسهم في بروز حراك ثقافي حقيقي غير موجه، بعيد عن مقص الرقابة وقادر على خدمة المشروع المجتمعي المتوافق بشأنه والقابل للنقد والتفكيك والترميم وإعادة التركيب والبناء

لذلك، فإنَّ إعطاء مساحة كافية للمبدعين والمثقفين للتعبير والابتكار أمر ضروري لبناء مجتمعات قوية تفكر وتنتقد وتطرح الأسئلة الصحيحة التي من شأنها تعزيز الديموقراطية وقيم الشفافية والعدالة والحكم الرشيد. فالقول بأنَّ توسيع دائرة التفكير الحر قد يكون فيه تهديدٌ للدين أو الاخلاق أو لأمن المجتمع واستقراره هو نوع من الهروب إلى الأمام، ومحاولة لممارسة الرقابة على المجتمع. غير أنَّ هذا المعطى يجب ألا ينسينا ضرورة وضع بعض الشروط في كل ما يقدم للعموم من إنتاج ثقافي ومعرفي وفني وإبداعي، بحيث يكون متوافقاً قدر الإمكان مع الذوق العام ولا يهدف لازدراء دينٍ

ما أو طائفة اجتماعية معينة أو إلى إثارة نعرات قبلية أو اللعب على أوتار التفرقة والتشرذم

وفي عالم مثالي، فإنَّ المجال يكون مفتوحاً لكل المثقفين بشتى أنواعهم واختلاف مشاربهم ومجالات اختصاصهم للتدافع الثقافي والفكري والإبداعي دون تصنيفات محددة تقصي من تقصي وتقرِّب من تقرِّب وتضع هذا في مصاف صديق ومناصر للسلطة وذاك في خانة الثوريين الأعداء الواجب إخراسهم ولجمهم. فالواجب الأخلاقي لهذه المؤسسات يفترض العمل على إعطاء الحرية للجميع للإبداع والتفكير ومقارعة الحجة

القول بأنَّ توسيع دائرة التفكير الحر قد يكون فيه تهديدٌ للدين أو الاخلاق أو لأمن المجتمع واستقراره هو نوع من الهروب إلى الأمام، ومحاولة لممارسة الرقابة على المجتمع

بأختها وحصر دورها في تشجيع التفكير النقدي والأعمال المبتكرة وخلق ظروف تسمح بقيام ثورات إبداعية يتم تقييمها من طرف الجمهور الواسع. فالأفكار الجديدة، المنتقدة والمبتكرة تخلق جمهوراً واعياً متنوراً قادراً على التمييز بين حقوقه وواجباته كمواطن مما ينعكس على مختلف أدواره داخل المجتمع كأب وعامل وموظف وصاحب اختيارات بناءة خلال الانتخابات ومسارات البناء الديموقراطي في مجتمعه

أضحى كل من يحمل صفة مثقف في مجاله الخاص مطالباً بالتماهي مع الابتكارات التكنولوجية الحديثة التي تتيح له التواصل مع مختلف الفئات المجتمعية وفرض وجوده في الساحات المعرفية والإبداعية

وإذا كان فتح المجال للمبدعين والمفكرين والفلاسفة والعلماء وكل العاملين في ميدان الثقافة والذين يسري عليهم وصف المثقف، بدون قيود أو رقابة من أجل تعزيز الفكر الحر وتشجيع الابتكار والأفكار المجددة والمبدعة، أمراً مستحباً ومنطقياً، فإنَّ تمطيط مجال الثقافة يمكن أن يفتح الباب للكثير من المتطفلين والمتنطعين والسطحيين وغيرهم من أصحاب المحتوى الثقافي المبتذل الراغبين في الظهور، وحجز مكان لهم في الفضاء الثقافي الواسع والمتعدد المجالات. لذلك، فإن النقاش الدائر حول ضرورة تحديد الشروط الواجب توفرها في كل من يوصف بالمثقف يبدو أمراً بالغ الأهمية

رغم صعوبته من الناحية التقنية. فالمجال الثقافي بشموليته وتشعب ميادينه لم يعد حكراً على أصحاب الفكر الهادف والرؤى التنويرية والفن الملتزم العاكس للقيم الإنسانية المشتركة وذلك بسبب سطوة تكنولوجيات الاتصال الجديدة على مناحي الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية

فتكنولوجيا الاتصال الجديدة بما في ذلك وسائط التواصل الاجتماعي أضحت فضاءً مفتوحاً للجميع للأديب والمفكر وصاحب الإبداع الفني الرفيع وكذا للجاهل والسطحي والفنان التافه إذْ إنَّ ما يُسمَّى بديموقراطية الوصول للجمهور العام التي أسَّست لها هذه التكنولوجيا تحولت لنقمة ومصدراً للإزعاج والتذمر عوض أنْ تكون نعمة للبشرية تسهم في نشر الفكر الهادف المتنور والقيم الإنسانية العالمية.

وإذا كانت هذه الثورة التواصلية قد أحبطت الكثير من المثقفين الحقيقيين، فإنها لاقت تجاوباً من الجمهور العام الذي بات يتفاعل بالملايين مع تغريدات معينة، ويستمتع بشتى أنواع الفن المعروض على منصات التواصل الاجتماعي. لذلك أضحى كل من يحمل صفة مثقف في مجاله الخاص مطالباً بالتماهي مع الابتكارات التكنولوجية الحديثة التي تتيح له التواصل مع مختلف الفئات المجتمعية وفرض وجوده في الساحات المعرفية والإبداعية بفضل جودة منتوجه الثقافي عوض الجلوس في برجه العاجي ولعن الظلام

وفي خضم الحديث عن سطوة وسائل التواصل الاجتماعي واحتكارها لمسألة نقل الاخبار وفتح منصات النقاش ونشر وتبادل المعلومات، فإنه لا يمكن الجزم بموت الوسائط التقليدية للثقافة كالكتب والمجلات والجرائد وبرامج الإذاعة والتلفزيون، التي لا زالت تحافظ على أهميتها خاصة في المجتمعات القارئة والواعية التي تعتبر الثقافة قيمة أساسية متاحة للجميع وليست ترفاً خاصاً بفئة اجتماعية محددة. لذلك نقول إنَّ من واجب المؤسسات الرسمية الساهرة على القطاعات الثقافية بذل جهد مضاعف عبر استثمار الجوانب الإيجابية للوسائط الجديدة للتواصل لنشر المنتج الثقافي الهادف مع العمل على تطوير الوسائط التقليدية وجعلها أكثر جذباً للعموم من الجمهور.

> **أمام كل هذه التحديات الناجمة عن الثورة التكنولوجية في وسائل التواصل، فإنَّ المثقف لا يمكن أن يقف على الحياد ويعلن الاستسلام وينأى بنفسه عن واجب الحضور في الميدان وخلق قوة موازية تعيد الأمل للشغوفين بالعمل الثقافي الجاد**

ولن يكون هذا ممكناً دون فتح باب النقاش وإشراك الفاعلين في ميدان الثقافة في

بلورة تصورات ومفاهيم مبتكرة للاستفادة من الطفرة التي خلقها التطور المتسارع لتكنولوجيا التواصل وتحويل التحديات لفرص حقيقية للانتشار والتميز والتأثير الإيجابي العابر للحدود والمقرب للمسافات.

وإذا كانت وسائط التواصل الاجتماعي تسهم في نشر ثقافة التفاهة وتمنح ذوي المعارف السطحية والمبتذلة فضاءات لنشر ترهاتهم وسخافاتهم عبر الفضاء الافتراضي العابر للحدود، فإنها في الوقت نفسه تتيح لجمهور المثقفين الحقيقيين الفرصة لنشر المنتوج الثقافي الرفيع المميز بالتزامه المعرفي والأخلاقي وجودته الفكرية وقوة حجيته المعرفية وقدرته على الإقناع واستقطاب الجماهير الطامحة للحصول على محتويات معرفية وإبداعية تنافس بقوة سطوة المحتويات الفارغة التي تعج بها شبكات الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي. فتغييب الفكر المتنور والمحتوى الملتزم وترك الفراغات على هذه المنصات يجعلها عرضة لكل من هب ودب لإفساد الذوق العام ونشر التفاهات. وأمام كل هذه التحديات الناجمة عن الثورة التكنولوجية في وسائل التواصل، فإنَّ المثقف لا يمكن أن يقف على الحياد ويعلن الاستسلام وينأى بنفسه عن واجب الحضور في الميدان وخلق قوة موازية تعيد الأمل للشغوفين بالعمل الثقافي الجاد والطامحين للاستمتاع بقوة الأفكار النيرة والابداع الفني الراقي والابتكارات الإنسانية المتجددة

نشر مساهمة فكرية واحدة ذات جودة عالية تثير نقاشات علمية حقيقية أفضل بكثير من إصدار كتب لا قيمة علمية لها ولا تضيف شيئاً للنقاش المجتمعي الهادف

وإذا كان دور المثقف هو النضال من أجل أفكاره وإبداعه في مجالات اهتمامه وتخصصه والعمل على إنتاج أعمال ذات إضافة نوعية تسهم في بروز مشروع اجتماعي متماسك تنويري متقدم، فإن جودة منتوجه الثقافي وحدها تتيح له إمكانية التأثير والانتشار وتبوء مكانة مرموقة في نادي المثقفين والأدباء والمفكرين والمبدعين والفنانين والمبتكرين. فنشر مساهمة فكرية واحدة ذات جودة عالية تثير نقاشات علمية حقيقية أفضل بكثير من إصدار كتب لا قيمة علمية لها ولا تضيف شيئاً للنقاش المجتمعي الهادف. وقد رأينا كيف أنَّ مفكرين عالميين استطاعوا نيل الحظوة لدى الجمهور العام عبر ربوع العالم بفضل إصدارات محدودة العدد ثقيلة القيمة الفكرية والإبداعية وعظيمة الأثر في نفوس الناقدين والمستهلكين للمنتوجات الثقافية والفكرية الجادة والمجددة وغير المبتذلة

لذلك، فإن ولوج نادي المثقفين الملتزمين المجددين والمثيرين للنقاشات الهادفة لا يكون باستغلال توافر وسائل النشر والطباعة، بل بالتميز الفكري والثقافي وبالأثر المستمر لنظرياتهم ومساهماتهم. فكتب من قبيل «الأمير» لمكيافيلي و«نهاية التاريخ والإنسان الأخير» لفوكو ياما و«المقدمة» لابن خلدون و«المبادئ» لإسحاق نيوتن و«أصل الأنواع» لتشارلز داروين و«رأس المال» لكارل ماركس و«دورة الأفلاك السماوية» لكوبرنيكوس وغيرها الكثير بقيت صامدة عبر العصور وأحدثت نقاشات علمية رفيعة

ولوج نادي المثقفين الملتزمين المجددين والمثيرين للنقاشات الهادفة لا يكون باستغلال توافر وسائل النشر والطباعة، بل بالتميز الفكري والثقافي وبالأثر المستمر لنظرياتهم ومساهماتهم

نظراً لقيمتها الفكرية المتفردة، وتأثيرها الكبير على تاريخ العلوم والنظريات الفلسفية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية

وإذا كان هذا المستوى الفكري والعلمي محصوراً على طبقة محددة من النجباء والأشخاص ذوي الذكاء الخارق، فإنَّ الإسهامات الفكرية لعموم المثقفين الجادين لا تقل قيمة من حيث تركيزها على الرغبة في المساهمة الفعلية والمؤثرة والهادفة في النقاشات العمومية والمشاريع الاجتماعية المهيكلة. لذلك، فإنَّ سهولة النشر والإصدار لا يعني بالضرورة تمكين الانتاجات الثقافية الفارغة المحتوى من أي تأثير فعلي على الرأي العام والتوجهات الكبرى للفكر والإبداع والفنون إنْ على المستوى المحلي أو الدولي

الموقف الثقافي - الثقافة والمثقف

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

سعيد الطارشي

رئيس تحرير مجلة ثقافة . سلطنة عمان

من المعلوم أنَّ ضبط المصطلحات والمفاهيم في العلوم الإنسانية والاجتماعية مهمة شاقة؛ لاختلاف المرجعيات والمنظورات لتحقيق ذلك، ولأنَّ اللغة، وهي وسيلة الضبط الأهم، لا يمكنها التعبير عن كل الوجود الخارجي أو الذهني، وأخيرًا لكون المصطلحات والمفاهيم ليست سوى تعبير –كما يرى دينس كوش- عن صراعات اجتماعية، وبمعنى آخر فإنَّ التعريفات ليست محايدة أو بريئة؛ بل هي جزء من خطاب اجتماعي يسعى للتأثير على الآخرين وربما تجاوز ذلك للسيطرة والهيمنة.

وبالنسبة لمفهوم «الثقافة» و«المثقف» ومنذ التعريف الشهير للأنثروبولوجي البريطاني الشهير إدوار تايلور ظهرت عشرات التعريفات لمفهوم الثقافة، من أهمها تعريف فريدريك تشيللر الذي يرى أنَّ «الثقافة هي الآلية المحركة حيث تقولب الذوات البشرية تبعًا لحاجات نوع جديد من النظام السياسي فتعيد صياغتهم وتحولهم إلى أدوات طبيعية ومعتدلة ولا مبالية».

التعريفات ليست محايدة أو بريئة؛ بل هي جزء من خطاب اجتماعي يسعى للتأثير على الآخرين وربما تجاوز ذلك للسيطرة والهيمنة

ومع أنني أتبنى في هذا السياق هذا التعريف، لكن لا أوافق على حجم السلبية الذي تبدو به الذوات البشرية، التي أرى أنَّ لها قدراً كبيراً من الحرية أو القدرة على الفعل وتشكيل ذاتها وجوانب من الحياة الاجتماعية

وفيما يتعلَّق بمعايير الضبط، هناك العشرات من التعريفات وكلها غير جامعة ولا مانعة بلا شك وشخصيًا أتبنى التعريفات المركبة من عدة تعريفات تتخلص من نواقص أو سلبيات مفاهيم أو تعريفات أخرى وتصف وتفسر ما هو كائن بأعلى درجة وتحقق ما نرجو من فهم على مستوى النظر، وإسعاد لأكبر قدر من بني الإنسان على مستوى الواقع؛ بإتاحة أكبر عدد من البدائل للاختيار.

أبرز المعايير التي ينضبط بها مفهوم الثقافة، معيار المقدرة التفسيرية والعدالة والاعتراف بالآخر والحس النقدي وتحقيق أكبر قدر من المصلحة الإنسانية

أمَّا أبرز المعايير التي ينضبط بها مفهوم الثقافة، فهي برأينا معيار المقدرة التفسيرية والعدالة والاعتراف بالآخر والحس النقدي وتحقيق أكبر قدر من المصلحة الإنسانية، كما جاء في القرآن الكريم «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى» و«إذا قلتم فاعدلوا»، «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين».

وتوجد تعريفات عديدة للمثقف ربما أبرزها التعريف الشهير لإدوارد سعيد، وتعريف جوليان بيندا، وغيرهما، والتعريف الواسع لجرامشي «المثقف العضوي»، والذي هو أقرب في فهمي للمثقف، فأنا أرى أن كل أفراد المجتمع يمكن أنْ يكونوا مثقفين، فكل من بإمكانه أنْ يحدث تغييرًا إيجابيًا (وفق المعايير أعلاه) في مجتمعه فهو مثقف

أمَّا بالنسبة لدور المؤسسات الثقافية الرسمية في ضبط مفهومي الثقافة والمثقف، فهذا جزء من السياق السابق المتعلق بضبط المصطلحات. وطبعًا المؤسسات الثقافية لها دور؛ لكن كنت أتمنى أن يكون للمثقف الفرد (المفكر، الفقيه، العالم) ومؤسسات المجتمع المدني حق الإسهام في تشكيل الضوابط.

وهنا أنبه إلى حق الجميع في التعريف. مع تأكيد ضرورة أن تتجاوز المؤسسة منهج التعامل مع الأفراد انطلاقًا من مبدأ السلطة البطريركية. لست مع هذا التصور، والذي يحضر على الأقل ضمنيًا في عقول البعض. أنا مع مشاركة الجميع؛ وهنا يبرز دور المؤسسات التعليمية في تعليم الناس التفكير النقدي وقبل ذلك أخلاق العدالة والاعتراف بالآخر.

ومن جانب آخر يمكننا الارتقاء بالتعريف من خلال دور للمؤسسة تتعاون فيه مع مختلف المؤسسات والأفراد ذوي الصلة والعلاقة بالموضوع؛ أي الانتقال من صيغة العمل المؤسسي الذي تنفرد فيه المؤسسة الثقافية الرسمية بالعمل إلى المشاركة الواسعة ومأسسة التفكير في المفهوم والقضايا المرتبطة به. وهذا أصبح ضرورة في عالم يزداد سيولة في بنيته التقليدية

وفيما يتعلق بالمخاطر المرتبطة بتضييق مفهوم الثقافة أو توسيعه، فكما أشرت فإنَّ مسألة التعريف وضبطه ومن يتولى ضبطه ليست فقط قضايا معرفية محايدة وبريئة، بل رغبات وسلطة تعكس

صراعات وسعي لهيمنة؛ ولا أرى مشكلة طالما كان السعي وراء استعمال المفهوم هو ما أشرت إليه من غايات علمية نظرية وأخلاقية عملية.

مع الإشارة إلى أن التضييق في بعض الأحيان والسياقات مخل؛ فربما ضاق عن التعبير عن جزئيات المعرف ولم يمايزه عن غيره ليدرك ويفهم. وفي أحيان وسياقات أخرى يكون التضييق أفضل من التوسيع لأنَّ التعريف متى ما ضمَّ كل شيء فقد معناه تماماً. وهذا لا ينفي فوائد التوسع فهو يعطي نظرة أعمق للمفهوم

> يجب الانتقال من صيغة العمل المؤسسي الذي تنفرد فيه المؤسسة الثقافية الرسمية بالعمل إلى المشاركة الواسعة ومأسسة التفكير في مفهوم الثقافة والقضايا المرتبطة به

وحول الوسيط الأنسب للثقافة، ومدى قدرة وسائل التواصل الاجتماعي على تعويض الوسائط التقليدية للثقافة كالكتاب والصحافة والمجلات وبرامج الإذاعة والتلفزيون، فقد عرفت الثقافات البشرية وسائط نقل عديدة ناسبت ظروفها وتطورها منذ مرحلة المجتمعات الشفهية إلى المجتمعات الكتابية. والمرحلة التي تعيشها المجتمعات الآن هي جذرية في حجم تغيرها ونوعيته بظهور لاعبين جدد (وسائل التواصل الاجتماعي)، وتنامي كفتها كل يوم؛ ولا شك أنَّ التغير يتنامى أكثر وأكثر بتطورات الذكاء الاصطناعي.

مع كل هذا التنامي، لكنه لا ينفي استمرارية وجود اللاعبين التقليديين؛ فهذه الوسائط مثل «الأساطير لا يمكن أن تختفي وإنما تغير صور وهيئات ظهورها في حياة الإنسان» كما يقول مرتسيا إلياد.

وأبرز مثال «البودكاست» الذي يعد تجليًا جديدًا للمذياع. وأهم من ذلك وأكثر دلالة استمرار الكتاب الورقي وقبل ذلك الكتاب نفسه فهو حتى في صورته الإلكترونية هو كتاب. أما عن الوسيط الأنسب لنقل الثقافة؛ فالإجابة صعبة جدًا خاصة في ظل التطورات التي أفرزها الذكاء الاصطناعي. وهي أي الوسيلة تعتمد على السياق وعلى الفرد..

كل فرد من أفراد المجتمع يمكنه أن يحدث تغييرًا إيجابيًا في الحياة الإنسانية فهو مثقف

وبالنسبة لما إذا كان إصدار العديد من الكتب والروايات ودون النظر إلى متانة جودتها منهجيًا وفنيًا معيارًا كافيًا ليلج المرء نادي المثقفين والثقافة؟ فهذا السؤال جزء منه متعلق بتمييز المثقف عن غيره، وكما قلنا فإنَّ كل فرد من أفراد المجتمع يمكنه أن يحدث تغييرًا إيجابيًا في الحياة الإنسانية فهو مثقف. مع الإشارة إلى أن هناك أعمالاً ثقافية ونصوصاً أدبية وفكرية على درجة عالية من الجودة والمتانة المنهجية والفنية؛ لكنها غير معروفة وغير مؤثرة ولا يتعامل معها غير المتخصصين؛ طبعًا هذا لا ينفي قيمتها الثقافية الإبداعية والإنسانية

في المقابل توجد نصوص بسيطة جدًا ليس بها أية درجة من الجودة الفنية أو المتانة المنهجية، لكنها واسعة الانتشار ومؤثرة في شرائح كبيرة من المجتمعات؛ وانطلاقًا من تعريف ماثيو أرنولد للثقافة بكونها «السعي إلى معرفة الأفضل» فالسؤال هنا: هل الأفضل هو الأكثر إبداعًا، أم الأكثر تأثيرًا؟ من وجهة نظري فإن الأفضل: هو الأكثر نقدية وإسعادًا لأكبر قدر من بني الإنسان

الموقف الثقافي - الثقافة والمثقف

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

د. شرف المزعل

كاتبة ومؤرخة . البحرين

إنَّ تقديم تعريف جامع وشامل لمفهوم الثقافة (Culture) ليس أمرا سهلاً، ويحتاج إلى إعمال الفكر. وأرى أنه يمكن ضبط مصطلحيّ «الثقافة والمثقف» إذا ما استندنا إلى مقدّمات أساسية، ومن أهمها:

> إن شخصاً يحفظ الأشعار القديمة للمتنبي والبحتري عن ظهر قلب قد يُوصف، في محيط بيئته الاجتماعية، بأنه مثقف، مع أنه يتمتع فقط بذاكرة شعرية حادّة

(1) إنَّ مفهوم الثقافة شائع ومعقد، ويحتوي على معظم التخصصات والمصطلحات التي تهتم بالإنسان، سواءً فيما يتعلق بنمط عيشه، وتواصله، واحتكاكه، وتجارته، وتعلمه، وتنقله، وزواجه، ومعاييره وأنماطه الثقافية والاجتماعية. وعلى هذا الأساس، فإن شخصاً يحفظ الأشعار القديمة للمتنبي والبحتري عن ظهر قلب قد يُوصف، في محيط بيئته الاجتماعية، بأنه مثقف، مع أنه يتمتع فقط بذاكرة شعرية حادّة

(2) لقد ارتبط مصطلح «الثقافة» بظهور النزعة الإنسانية والتصور العقلاني العلمي للكون؛ أي ارتبط بما يُسمّى بالحداثة؛ بحيث أصبحت ألفاظ مثل الثقافة، والأيديولوجيا، والحداثة، تشير إلى الحياة وفق العقل الذي يسيّر الوقائع والأحداث، وتدّل على ضرورة تحرُّر العقل من الأفكار الغيبية

(3) من الناحية اللغوية، فإن فعل «ثقّف» يعني « قوّم» أو «أصلح»، وهذا يعني أنَّ «المثقف» هو شخص مدعو لإصلاح المجتمع وتعديل سلوك الناشئة بما يتوافق مع أهداف المجتمع ومعاييره. غير أنك حالما تقول إنَّ فلاناً شخص «مثقف»، حتى يتبادر إلى الأذهان أنك تقصد بقولك هذا أنه إنسان مطلع، ومتبحّر في العلوم والفنون والآداب، ويمكن التحاور معه في شئون العلم والأدب والثقافة. وهنا يبرز الفرق الواضح بين التعريف اللغوي الصرف والتعريف الاصطلاحي الذي توافق عليه عامة الناس

(4) إن أشهر تعريف للثقافة وضعه الأنثروبولوجي الأميركي إدوارد تايلور بأنه «الكل المركب الذي يشتمل على المعارف والمعتقدات، والفن والقانون والأخلاق والتقاليد، وكل القابليات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في مجتمع» غير أن تعريف الثقافة على هذا النحو يجعل الثقافة، على حد تعبير تايلور نفسه، شيئاً لا يملكه الإنسان، وهذا القول غير دقيق، ولا يعكس الواقع المعاش

انقسم علماء الاجتماع بصدد مفهوم «الثقافة» إلى فريقين أحدهما يرى في الثقافة متغيراً مستقلاً يعمل على تغيير المجتمع ويؤثر فيه تأثيراً فاعلاً، والآخر يرى الثقافة متغيراً تابعاً يتغير بتغيّر البناء الاقتصادي، ويتأثر بأي اهتزازات تحدث بشأنه

ويُنظر في بعض الأحيان إلى الثقافة بأنها عبارة عن «نماذج ظاهرة وكامنة من السلوك المكتسب والمتنقل بواسطة الرموز، والتي تكون الإنجاز المميز للجماعات الإنسانية، والذي يظهر في شكل موضوعات، ومنتجات وأفكار ثقافية».

وضمن هذا التعريف، يتم مساواة الثقافة بالسلوك؛ بمعنى أنَّ الثقافة يفترض أن تتجلّى في أوضح صورها في سلوك المثقف نفسه، المُنتج للموضوعات الثقافية. فهذا التعريف إذن يُعنى بتجليات (مظاهر) الثقافة، وبدور المثقف، وليس بمفهوم الثقافة نفسه

(5) انقسم علماء الاجتماع بصدد مفهوم «الثقافة» إلى فريقين كبيرين، فريق يرى في الثقافة متغيراً مستقلاً يعمل على تغيير المجتمع ويؤثر فيه تأثيراً فاعلاً (المثقف هو المُصلح الاجتماعي)، في حين يرى الفريق الثاني في الثقافة متغيراً تابعاً يتغير بتغيّر البناء الاقتصادي، ويتأثر بأي اهتزازات تحدث بشأنه (وهذا يعني أنَّ المثقف قد يتحول، في ظل نظام اقتصادي غير عادل، إلى شخص يبرِّر غياب العدالة في المجتمع). وقد يلعب المثقف كلا الدوريّن؛ أي أن يظهر أمام العامة والبسطاء كمصلح اجتماعي، في حين أنه يسهم في بقائهم في ظل الاستبداد؛ أي يسهم في تجهيلهم واستغفالهم

(7) إن الدور الذي تلعبه «الثقافة» في المجتمع يتميز بالازدواجية؛ فيمكن للثقافة أن تكون قوة للقمع والهيمنة (عندما يكون تقاسم القيم والمعايير والمعتقدات السائدة عاملاً لإبقاء الناس مُستثمَرين في أنظمة اجتماعية لا تعمل لمصلحة الأغلبية)، لكنها يمكن أن تكون أيضاً قوة للإبداع والمقاومة والتحرر.

إذا كان مصطلح الحضارة يشير إلى المعرفة العلمية والفنية، فإنَّ مصطلح الثقافة يشير إلى النتاج الفني والديني والفلسفي للمجتمع

(8) يجب التمييز بين «الثقافة» و«الحضارة»؛ فالحضارة تشتمل على المعرفة الوضعية والعلم والتكنولوجيا، والتي تتكون من معلومات يُمكن تمريرها من جيل إلى آخر، وتتمتع بدرجة عالية من الدقة والضبط. في حين أن الثقافة تتعلق بدراسة الأشكال الروحية للإنسان، وما تتضمنهُ من قيم ومقاييس وعادات وأفكار وانطباعات، لا يمكن الجزم بصحتها أو بخطئها، وذلك لمرونتها ونسبيتها واختلافها من مجتمع إلى آخر، ومن فرد لآخر، ومن فترة زمنية لأخرى. وإذا كان مصطلح الحضارة يشير إلى المعرفة العلمية والفنية، ومدى سيطرتها على الموارد الطبيعية، فإنَّ مصطلح الثقافة يشير إلى النتاج الفني والديني والفلسفي للمجتمع، باعتبار أنَّ الثقافة هي المظاهر الفكرية والفلسفية للحياة الاجتماعية

(9) إنَّ المثقف هو الشخص الذي يعبر عن ضمير الأمة وحركة التاريخ، ويتخذ مواقف مبدئية في مواجهة القوى الاجتماعية التي تسعى لتجهيل المجتمع ونشر السطحية والابتذال والتفاهة في المجتمع من خلال وسائل الإعلام والاتصال الاجتماعي، ويضطلع بدوره في معركة التنوير وتنمية الوعي، ويقف بقوة ضد تزييف الوعي، ويعلو فوق ذاته؛ فلا يخضع لحسابات الربح والخسارة الشخصية

(10) إنَّ المثقف هو الشخص الذي يقف ضد الخطابات الانتهازية والشعبوية والسطحية الرائجة في المجتمع، تارة باسم الواقعية وتارة أخرى باسم العقلانية، ويعمل على فضح مقاصدها، وذلك من خلال النقد العقلاني، ودعم الحداثة والتنوير، وإيقاظ الوعي الحر للحد من التطرف الفكري والعقائدي، وتحرير الفضاء الثقافي الإلكتروني من تسلط الغوغائية التي تزرع الجهل، وتُشيع التفاهة بالصوت والصورة

ومما سبق يمكن القول إنَّ مفهوم «الثقافة» يرتبط، بشكل محدّد، بدورها البارز في إنتاج النظام الاجتماعي وترسيخ القواعد والأعراف والمبادئ والقيم والأخلاق التي تسمح لنا بالتعاون والعمل

كمجتمع والعيش معاً في ظل الثقافة المشتركة التي تجمعنا، من أجل إعلاء قيمة العقل المتحرر من الغيبيات والأوهام، وتنمية الوعي، وهي أيضاً خبراتنا المتولدة عبر التفاعل الإنساني في سياق الحياة الاجتماعية، والمصاغة في قوالب رمزية كاللغة التي يكتسبها الأفراد بالمجتمع من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية

ولا يجوز برأيي قصر مفهوم «الثقافة» على مجاليّ الفنون والآداب فقط، فهذا تعريف محدود وضيق لمفهوم الثقافة؛ فالثقافة تعني كل ما هو موجود في المجتمع الإنساني من علوم وفنون وآداب وحضارة، ويتم توارثه وتنميته وترسيخه بالمجتمع.

بمعنى آخر، فإن الثقافة تشمل النتاجات (العناصر) المادية؛ وتتجلى في الأشياء المادية الملموسة، كالقطع الأثرية والحواسيب (أجهزة الكمبيوتر بصفتها منتجات تصنع ثقافة أو تشكل جزءاً منها) وغيرها، وكذلك النتاجات (العناصر) اللامادية، والتي تشمل الأفكار والأديان والمعتقدات والقيم والأعراف والرموز واللغة والسلوك والعناصر الوجدانية (الاتجاهات والميول والآراء)، والمعرفية (القدرات والمهارات)، والاجتماعية (المعايير والطقوس)، وما إلى ذلك

ويعد النظام المعياري أحد المكونات الاجتماعية للثقافة، وهو يتضمن القيم؛ وتشمل القيم الغائية للفرد والجماعة والقيم الوسيلية التنافسية والأخلاقية، وكذلك المعايير؛ وهي قواعد السلوك التي تجسد القيم السائدة بالمجتمع (القواعد الرسمية كالقوانين والمراسيم، والقواعد غير الرسمية كالأعراف).

يجب تحويل العمل الثقافي إلى صناعة منتجة، من خلال التركيز على المحتوى الثقافي الذي يعزز الهوية الثقافية والوطنية، ودعم الثقافة وتشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في مشاريعها

أمَّا بالنسبة لدور المؤسسات الثقافية الرسمية في الإسهام في ضبط مفهومي «الثقافة» و«المثقف»، فيمكن القول إن المؤسسات الثقافية الرسمية مدعوّة إلى إدارة الشأن الثقافي في البلاد بحكمة، وضبط مفهوم الثقافة عن طريق توفير المناخ الأفضل لتنمية فضاء الثقافة وازدهارها في المجتمع من خلال ترسيخ حرية التفكير والإبداع، والانتقال من ثقافة الدولة إلى دولة الثقافة، وذلك عن طريق

إذا غرق مفهوم الثقافة في أوحال السطحية والتفاهة، بحجة أنَّ الثقافة ليست للنخبة المثقفة فقط، وأن هذه النخبة لا تملك حق الوصاية على الثقافة، فمثل هذا السلوك سيؤدي إلى تعويم مفهوم الثقافة، وسيطرة الرداءة والانحطاط

تعزيز دور الثقافة في بناء الوعي وخدمة الأهداف الوطنية الكبرى، وربط الثقافة في بُعديها الوطني والإنساني بالمشروع المجتمعي الوطني الحداثي، والذي يعتبر الثوابت الوطنية والتنوع الثقافي والتعددية الثقافية أمراً أساسياً في كل عمل ثقافي وفني وإبداعي

ولما كان المثقف يمثل دعامة أساسية لهوية الدولة الوطنية وشخصيتها الثقافية، وما فيها من ثراء وتنوّع إيجابي، فإنَّ المؤسسات الثقافية الرسمية مدعوّة لتحرير إرادة المثقف في الفضاء الثقافي الوطني، وإطلاق روحه الإبداعية، والنهوض بالفكر الحداثي التنويري الحر، وتشجيع النقد العقلاني، والتصدّي للخطاب الذي يزرع الجهل وينشر التفاهة عبر وسائل التواصل الإعلامي والاجتماعي. وعليها أيضاً العمل على تحويل العمل الثقافي إلى صناعة منتجة، من خلال التركيز على المحتوى الثقافي الذي يعزز الهوية الثقافية والوطنية، وعدم التخلّي عن الثقافة، بل دعمها عن طريق تعزيز دورها في الرعاية والمتابعة والتمويل والتشريع، وتشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في مشاريعها

وفيما يتعلق بالمخاطر المرتبطة بتضييق مفهوم الثقافة أو توسيعه، فأعتقد أنَّ المنافع أو المخاطر المحتملة من تضييق مفهوم الثقافة أو توسيعه تعتمد بالدرجة الأولى على ما يعنيه أو يتطلبه ذلك.

فإذا كنا نقصد من المفهوم الواسع للثقافة مثلاً هو أن تشمل الثقافة النتاجات المادية وغير المادية للإنسان، كما تم تعريفها أعلاه، فهذا بلا شك إثراءٌ لمفهوم الثقافة، وإغناءٌ لمضامينه. أمَّا إذا كان المفهوم الواسع للثقافة يتطلب أيضا إدراج النتاجات «الثقافية» اللامادية، من أفكار ومعتقدات وآراء واتجاهات تشوّه معنى الثقافة، وتغرق المفهوم في أوحال السطحية والتفاهة من كل حدب وصوب، دون رقيب أو حسيب، بحجة أنَّ الثقافة ليست للنخبة المثقفة فقط، وأن هذه النخبة لا تملك حق الوصاية

على الثقافة، فمثل هذا السلوك سيؤدي إلى تعويم مفهوم الثقافة، وسيطرة الرداءة والانحطاط على الفعل الثقافي، وغياب المستوى الثقافي الرفيع، وتهميش منظومة القيم الثقافية

وبالمثل فإنَّ تضييق مفهوم الثقافة، وحصره بالآداب والفنون، يؤدي إلى تشويه المفهوم، ويستبعد المعتقدات والقوانين والمبادئ الأخلاقية والعادات، التي تعكس أيضاً مضامين ثقافية، كما سبق ذكره. كذلك، فإنَّ فكرة «ثقافة النخبة المُتحضّرة» تستبعد إسهام بقية فئات الشعب في إثراء مفهوم الثقافة

أمَّا بالنسبة لـ«الوسيط» الأنسب للثقافة، فيمكن القول إن الوسائط الثقافية تشمل: الوسائط المقروءة كالكتاب والمجلة، حيث تبرز المطالعة كوسيلة اتصال، تستخدم رسالة ثابتة يمكن الرجوع إليها، والوسائط الثقافية المسموعة، كالإذاعة، والوسائط المرئية التي تعتمد الصوت والصورة في نقل الثقافة، كالتلفزيون والمسرح والسينما والفيديو.

وتتميز وسائل الاتصال الاجتماعي الحديثة (الواتساب والتويتر والفيس بوك وغيرها) بأنها تشمل الوسائط الثقافية بجميع أنواعها: المقروءة والمسموعة والمرئية، وتمتاز بدرجة عالية من الفاعلية والتأثير؛ لأنها تتوجه إلى حاستيّ السمع والبصر، كما أنها تروِّج للأنشطة الترويحية والتعليمية والتثقيفية وهي مصدر هائل للمعلومات المُتجددة

ومن هذا المنطلق، تعتبر وسائل الاتصال الاجتماعي الحديثة في العصر الرقمي أنسب وسيط للثقافة، حيث إنها تشجع جميع أفراد المجتمع، بمختلف أعمارهم وانتماءاتهم وتوجهاتهم الفكرية والثقافية، على التواصل الثقافي الفعال بين أبناء الجيل الواحد، وكذلك بين الأجيال المختلفة، وبذلك تشجع على تنمية حرية الرأي والتعبير لدى المُستخدِم، وتعمل على ترسيخ فكرة قبول انتقادات الآخرين ومرئياتهم

غير أن وسائل التواصل الاجتماعي، في وضعها الراهن، لا تزال بعيدة عن إمكانية تعويض الوسائط التقليدية للثقافة كالكتاب، والصحافة والمجلات، وبرامج الإذاعة والتلفزيون، فلا بدّ من وضع تشريعات لضبط حرية التعبير؛ فالمادة الإعلامية لهذه الوسائط تزخر بكافة أشكال السطحية والتفاهة والابتذال؛ ممَّا حدا ببعض المثقفين إلى تسمية عصرنا الحالي بعصر التفاهة.

المادة الإعلامية لوسائط التواصل الاجتماعي تزخر بكافة أشكال السطحية والتفاهة والابتذال؛ ممَّا حدا ببعض المثقفين إلى تسمية عصرنا الحالي بعصر ا لتفا هة

فمع أن هذه الوسائل قد عملت على التقريب بين البشر وتغلّبت على تحدي البُعد الجغرافي وأدّت إلى تعزيز الإنتاجية العلمية والقوة الاقتصادية، وزيادة الوعي بالقضايا المجتمعية، إلا أنها قد ساهمت في المقابل في الحدّ من التواصل المباشر، وصعوبة إيصال المشاعر، وتنمية بعض العادات السيئة كالتنمر الإلكتروني، وزيادة الرهاب الاجتماعي؛ مما ترك آثارا سلبية على الصحة النفسية للناشئة والشباب

وعمَّا إذا كان إصدار العديد من الكتب والروايات، ودون النظر إلى متانة جودتها منهجيا وفنيا، معيارا كافيا ليلج المرء نادي الثقافة والمثقفين، فلا أعتقد أن الإجراءات الميسّرة لنشر الأعمال الأدبية والفنية، تعتبر معياراً كافياً لالتحاق المرء بنادي الثقافة والمثقفين، بل أعتقد أنَّ سهولة إصدار الكتب والروايات الأدبية، بدون التحقق من جودتها المنهجية والفنية وإسهامها في تنمية الثقافة الجادة، قد أسهم في ظهور أعمال تتميز بمضمون ثقافي متدني من جهة، لدرجة أنها تستثير العديد من التساؤلات حول مدى أهلية مؤلفيها لكتابتها؛ الأمر الذي يطرح ضرورة التحقق من مصداقية هذه الأعمال قبل الترويج لها بشكل واسع على الإنترنت

في المقابل فإن الوقوف عند نظرية جرامشي في المثقف العضوي تتيح الساحة للجميع، حيث لا حدود ولا معايير للطروحات الثقافية. ووجهة النظر هذي تسهم في عدم استملاك الساحة الثقافية، كما أنَّ وضع المعايير يحد من الابتكار والوصول للامفكر فيه، وكذلك هناك إشكالية في وضع المعايير الثقافية حيث إنها تنتمي إلى جيل من المثقفين مغاير للجيل القادم الذي له معاييره الخاصة بالتحولات الشاملة في حياته، وهنا نقف على أعتاب الانفتاح على الجميع بكافة الصور المعيارية والخارجة عن المعيار لإتاحة الفرصة للتجدد في الجسد الثقافي بحسب الأجيال

الموقف الثقافي - الثقافة والمثقف

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

د. عبد الله أبو عوض

أكاديمي . المغرب

رغم تحديد مجموعة من التعاريف لمفهوم «الثقافة»، إلا أن المتفق عليه هو التعريف العام بوصفها تلك العلاقة التي تربط المجالات السلوكية والاعتقادية والأعراف والعادات ببعضها البعض عند الأشخاص، غير أن حمولة الثقافة يمكن الجزم في تخصيص معناها تحت قاعدة (عام يراد به الخصوص) أي أن فلسفة المجال والتنشئة الاجتماعية المتوافقة مع المكتسب العرفي هي الجانب الممهد لضبط معنى الثقافة

فتكون الثقافة هي مجموع السلوكيات والمعتقدات التي تعكس تأثر الذات والفكر بالمجال الذي تنتسب إليه، وخاصة ما استقر في النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول. وإذا كان السلوك العام هو المترجم العملي للثقافة، فإن تطبيع ذلك السلوك بالموجه المنضبط لمفهوم التأثير والتأثر هو المثقف

> المثقف في المجال التداولي لمفهوم الثقافة، من تتشعب معارفه العامة سواء بما هو علمي ممنهج، أو بما هو مكتسب ممارَس، إذ لا يمكن تقزيم مفهوم المثقف بما هو علمي

والمثقف في المجال التداولي لمفهوم الثقافة، من تتشعب معارفه العامة سواء بما هو علمي ممنهج، أو بما هو مكتسب ممارَس، إذ لا يمكن تقزيم مفهوم المثقف بما هو علمي، لأن المتحكم في تفريغ معنى المثقف يختلف بحسب المجال المنتسِب له وإليه

لكن وبعيداً عن تدقيق معنى ومبنى الثقافة والمثقف، صار التحدي في زمن التدفق المعلوماتي عبر الوسائط الإعلامية عنواناً بارزاً للانصهار بين المعنيين نتيجة الفوضى في تحديد المفهومين معاً بسبب

غياب مجموعة من الضوابط التي يمكنها أن تسهم في الحفاظ على صلابة حمولة الثقافة والمثقف، ومنها:

- احترام دلالة المصطلح في التوظيف المعرفي.
- اعتماد المقاربة الشمولية في تعميم حمولة المعنى.
- ربط المصطلح بالمجال والتنشئة الاجتماعية وآلياته التداولية علمياً.
- التفريق بين العام والخاص في تفريغ وإسقاط الواقع على المعنى.

تجدر الإشارة إلى أنَّ رفع التحدي عن مفهوم الثقافة والمثقف يكون اللاعب الرئيس في حماية المدلول المعرفي لهما هو المؤسسات الثقافية الرسمية المعنية برعاية ضوابط التوظيف والممارسة، وهي التي باستطاعتها حماية مفهوم الثقافة والمثقف، وذلك من خلال:

- تدويل المصطلح بما هو متوافق مع الموروث.
- ضبط الشروط الموضوعية للمنعوت بالثقافة والمثقف.
- استخدام الوسائط الإعلامية المعاصرة للترويج والنشر.
- تنظيم الفعاليات الثقافية الخاصة بشعبوية المجال، ثم تعميمها.
- ترسيخ وإقرار قوانين تنظيمية تحدد مجالات العمل الثقافي.
- تقييد الثقافة بما هو انعكاس للمجال المجتمعي، ثم اعتماد تعميمها.

يحتم تضييق مفهوم الثقافة والمثقف، لأنهما ترجمة واقعية وتاريخية للمجال المنسوب إليهما، والشرط الخفي الذي يمنح التميز في ذلك هو الخصوصية

وفي ظل انصهار الكل في الكل بسبب التدفق المعلوماتي والصوري الهائل المكسو بالمجانية والارتجالية، يحتم تضييق مفهوم الثقافة والمثقف، لأنهما ترجمة واقعية وتاريخية للمجال المنسوب إليهما، والشرط الخفي الذي يمنح التميز في ذلك هو الخصوصية. ومع ذلك فإن توسعة المفهومين هو واقع الحال، وذلك نتيجة لسببين:

الأول: ذاتي، حيث لا يوجد أي مؤطر للمنعوت بالمفهومين، مما يجعله عرضة للاختراق الاستبطاني الذي ينعكس على الممارسة

الثاني: اختراق احترافي، يتسلل تدريجياً بدون رقابة ليستحكم القناعات بما هو استهلاكي.

وفي الغالب الأعم يمكن القول: إن الثقافة مكتسب ينبني على الفطرية، والمثقف زيادة على ما اكتسب مترجم خلاق للثقافة، وكلاهما وسيط للآخر، ووسيطهما معاً، المؤسسات الثقافية الرسمية التي يمكن اعتبارها صمام أمان لكليهما، وما هوا واجب وأوجب في راهنية العصر والتوافق مع متطلباته

الموقف الثقافي - الثقافة والمثقف

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

أ.د. فتحي التريكي

مفكر وفيلسوف . تونس

ليس ثمّة شك أنَّ من بين الأسباب الرئيسية لوضعية الصّراعات في العالم حالياً يمكن تحديده بعد أبحاث المفكر الإستراتيجي الأمريكي "صامويل هنتنجتون"، بتنوّع الثقافات واحتدامها بعضها ضدّ بعض.

فتلك الصراعات لم تنجم فقط عن المنافسات الاقتصاديّة المتوحّشة رغم عولمتها، ولا عن الاختيارات السّياسيّة والإيديولوجيّة، ولا حتّى أيضاً عن إرادة الهيمنة والافتخار بالقوّة فقط. إنّها كامنة أساساً فيما هو ثقافي، ومثلما يقول: فإنَّ «السّياسة العامّة ستهيمن عليها المواجهات بين الثّقافات وخطوط الصّدع الموجودة بين الحضارات التي ترسم مستقبل واجهات الصّراع»

لذلك لابدَّ هنا من تفكيك دلالات مصطلح الثقافة لنفهم ارتباطه استراتيجياً بالاقتصاد والسياسة.

نميّز بين تصوّرات ثلاث ممكنة للثّقافة. فالتصوّر الأوّل، ذو طابع أنثربولوجي، والثّاني ذو طابع روحاني وعقلاني، وأمّا الثّالث فهو ذو طابع سياسي.

يشير الأوّل إلى مجموعة من القيم والأفعال والممارسات تأتي مركّبة أحيانا ومفتّتة أحياناً أخرى، وتتضمّن المعارف والعقائد الدّينية والفنّ والأخلاق والحقّ والعادات وكلّ القدرات والتّقاليد التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع.

يمكن التمييز بين تصوّرات ثلاث للثّقافة، فالتصوّر الأوّل، ذو طابع أنثربولوجي، والثّاني ذو طابع روحاني وعقلاني، وأمّا الثّالث فهو ذو طابع سياسي

أمّا التّصوّر الثّاني فيشير، إلى التّفكير الفردي والحرّ، أي إلى القدرة الكامنة في كلّ فرد على الإبداع والتّأويل، وعلى الإعجاب والحكم، وعلى رفض الأنساق الجماعيَّة من الاعتقادات إذا لزم الأمر

أمّا الثالث، فيستعيد معطيات الأوّل ووسائل الثّاني كي ينظّمها رسميّا، ويجمع المعرفة والإبداعات داخل هدف محدّد سياسيّا أو إيديولوجيّا.

يسعى الفهم الأوّل إلى تركيز الهوية على قيم وأفعال محددة إقحاما للفرد داخل جماعة معيّنة، ويعمل التصور الثّاني بصفته النقديّة من أجل تحيين المكتسبات المعرفية والعلمية نظراً وممارسة وتحرير الفرد من الثّقل الاجتماعي؛ أما التصور الثالث فهو الذي يقحم الثقافة بفهميها الأول والثاني في مؤسسات اقتصادية أو سياسيّة فيكون غالبا تحت سيطرة الإيديولوجيا المهيمنة

هذا التمييز بين التعريفات الثلاثة لمفهوم الثقافة ذو أهمية قصوى لأنه يمكّننا من فهم جدليّة الثّقافة والمؤسّسة التي تميّز في نطاق أوسع وضعيّة عمل الذهن في كلّ بلدان العالم تقريباً.

وبالفعل يوجد حاليا اتّجاه واضح، في كلّ مكان من العالم، نحو فرض التصوّر الأوّل للثّقافة بصفته التّصوّر الوحيد الممكن، والعمل بطريقة تجعل المفهوم الثّاني في خدمة الأوّل. وبهذا يسهل إقحام هذين التّصورين في نسق مركّب محكوم باختيارات سياسيّة وإيديولوجيّة. لذلك كثيرا ما نخلط بين مفهوم الثقافة وتصور الحضارة من ناحية ومن ناحية أخرى نعتبر أن الثقافة الصادرة عن المؤسسات في الدولة هي الأنجع والأنفع معتبرين أن الثقافة الأخرى هامشية

لقد خضعت مختلف أشكال السّلطات السّياسيّة في منتصف القرن السابق لعمليّة تغيير كبيرة حين أقحمت الثقافات في المؤسسة وحرمتها من ميزتها النّقدية والروحية وأثبتتها داخل أجهزة محكّمة إيديولوجياً وسياسياً.

من خلال هذا التّعيين، نشأ التصوّر الثّالث الذي نسمّيه بلفظة «الثقافي». فالثّقافي يمكن تعريفه بما هو السّياسة التي تمنح لكلّ أنشطة الإبداع الثّقافي مكاناً، وتخصّص لها وظائف معيّنة وتؤطّرها داخل خيار إيديولوجي إرادي

هكذا لم تعد الثقافة كالأدب حرة طليقة تتنوّع بتنوّع الأفراد، وتتمحور داخل نخبة معيّنة وأحيانا في نخبة النخبة. والفيلسوف السياسي الإيطالي جرامشي يذهب إلى أبعد من ذلك ويعتبر أنَّ كل تنظيم للثقافة هو في حد ذاته التحاماً مع السلطة المهيمنة.

كثيراً ما نخلط بين مفهوم الثقافة وتصور الحضارة من ناحية، ومن ناحية أخرى نعتبر أن الثقافة الصادرة عن المؤسسات في الدولة هي الأنجع والأنفع معتبرين أن الثقافة الأخرى هامشية

أمَّا الفيلسوف البنغالي الأمريكي صاحب جائزة نوبل، «أمرتيا سن»، فقد وضع مفهوماً جديداً حدَّده بتلك الروابط بين الثقافة والاقتصاد، وهو مفهوم «القدرات» الذي يتحكم في تطوير الحياة بصفة عامّة، لذلك ستكون الثقافة ضرورية للاقتصاد ومصاحبة لكل تطوّراته وتغيراته بالإضافة إلى كونها ضرورة سياسية واستراتيجيّة

الموقف الثقافي - الثقافة والمثقف

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

د. لولوة بودلامة

كاتبة وإعلامية . البحرين

يمكن القول إنَّ الثقافة هي الأنسجة التي تنسج هوية الشعوب، تعبر عن قيمها، معتقداتها، وفنونها. إنها مرآة تعكس أصالة المجتمعات وتطورها. أمَّا المثقف، فهو الفرد الذي ينهل من بحر المعرفة في شتى المجالات، والقادر على التفكير النقدي والتحليل العميق، والذي يسهم بفاعلية في توعية المجتمع وتطويره

ولضبط مصطلح الثقافة والمثقف، يجب أنْ نحدد منظومة القيم والعادات والفنون، وترويجها بين المجتمعات (الداخلية والخارجية) ويقع دور كبير وأساسي على المثقفين في ذلك، فعبر قدراتهم المعرفية، والنقدية، والاجتماعية يجب أن يكونوا سفراء للترويج والحفاظ على الثقافة. فالثقافة والمثقف كلاهما ركيزتان أساسيتان في بناء الأمم وتشكيل مستقبلها

وبالنسبة لدور المؤسسات الثقافية الرسمية في الإسهام في ضبط مفهومي الثقافة والمثقف، فمن الواضح أن المؤسسات الثقافية الرسمية تلعب دورًا محوريًا في ضبط وتحديد مفهومي الثقافة والمثقف من خلال التعليم والتوعية وتنظيم ورش العمل والندوات لتعريف المجتمع بالمفاهيم الثقافية الأساسية. كما تساهم في حفظ التراث الثقافي والأدبي والفني وتوثيقه لجعله متاحًا للأجيال القادمة. بالإضافة إلى ذلك، تدعم هذه المؤسسات المثقفين والفنانين من خلال منح وفرص عرض أعمالهم، مما يعزز من دورهم في المجتمع. إن تنظيم الفعاليات الثقافية مثل المهرجانات والمعارض يعزز من الحوار الثقافي والتبادل الفكري بين الناس

يقع دور كبير وأساسي على المثقفين، فعبر قدراتهم المعرفية، والنقدية، والاجتماعية يجب أن يكونوا سفراء للترويج والحفاظ على الثقافة. فالثقافة والمثقف كلاهما ركيزتان أساسيتان في بناء الأمم وتشكيل مستقبلها

تلعب المؤسسات الثقافية الرسمية دورًا محوريًا في ضبط وتحديد مفهومي الثقافة والمثقف من خلال التعليم والتوعية وتنظيم ورش العمل والندوات لتعريف المجتمع بالمفاهيم الثقافية الأساسية

وتقوم المؤسسات الثقافية بدور البحث والدراسة لتعميق فهم هذه المفاهيم وتطوير معايير جديدة، بالإضافة إلى التعاون مع المؤسسات الدولية لتبادل المعرفة والخبرات. من خلال هذه الجهود، تساهم المؤسسات الثقافية في بناء مجتمع متعلم وواعٍ ومتناغم ثقافيًا. ووجود صف المثقفين في المقدمة باعتبارهم أحد قادة الرأي وشراكتهم في رسم الاستراتيجيات الثقافية يجب أن يكون أساسا لجميع الدول من أجل تمكين المثقفين

أمَّا المخاطر المرتبطة بتضييق مفهوم الثقافة او توسيعه، فأعتقد أنَّ تضييق مفهوم الثقافة يمكن أن يؤدي إلى التعصب والانغلاق، حيث يتم حصر الثقافة في مجموعة محددة، مما يعوق التنوع والإبداع.

هذا النهج قد يؤدي إلى تهميش الأقليات الثقافية؛ وفي المقابل فإن توسُّع مفهوم الثقافة بشكل مفرط قد يؤدي إلى تشتت الهوية وفقدان القيم الأساسية التي تشكل الرابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع، ممَّا يخلق فوضى معرفية ويجعل من الصعب تحديد الهوية الوطنية أو الجماعية. توازن ضبط المفهوم يتطلب وعياً ومعرفة دقيقة بمتطلبات المجتمع وتحدياته، لضمان استدامة الهوية الثقافية وتعزيز التنوع والابتكار في الوقت ذاته

وفيما يتعلق بالوسيط الأنسب للثقافة، فتحديده يعتمد على السياق والهدف والجمهور المستهدف. تظل الكتب والصحافة والمجلات أدوات أساسية لنقل المعرفة والثقافة بعمق واستدامة، حيث تمتاز بقدرتها على نقل الأفكار العميقة وتحفيز التفكير النقدي. في المقابل، توفر وسائل التواصل الاجتماعي سرعة الانتشار والتفاعل الفوري، مما يعزز التواصل والتفاهم بين الثقافات المختلفة.

وعلى الرغم من أنَّ وسائل التواصل الاجتماعي قد لا تعوض العمق الذي توفره الوسائط التقليدية، إلا أنها تلعب دوراً مهماً في نشر الثقافة وجعلها أكثر قرباً من الجمهور. من خلال التكامل بين الوسائط التقليدية والحديثة، يمكن تحقيق توازن مثالي في نقل الثقافة وتعزيز الفكر، حيث يتم استخدام الكتب والصحافة لتعزيز المعرفة، ووسائل التواصل الاجتماعي لزيادة الانتشار والتفاعل

تحديد الوسيط الأنسب لنقل الثقافة يعتمد على السياق والهدف والجمهور ا لمستهد ف

وعمَّا إذا كان إصدار العديد من الكتب والروايات وبدون النظر إلى متانة جودتها منهجيا وفنيا، معيارا كافيا ليلج المرء نادي الثقافة والمثقفين؟ فأعتقد أنَّ سهولة الطباعة وإصدار الكتب والروايات لا يعد معيارًا كافيًا لدخول نادي الثقافة والمثقفين. فالعبرة ليست بعدد الكتب المنشورة، بل بجودتها ومنهجيّتها ومحتواها الفني.

الثقافة تتطلب عمقًا في المعرفة، وصدقًا في التعبير، وقدرة على التأثير الإيجابي في المجتمع. وليس كل كتاب مطبوع يضفي صفة المثقف على مؤلفه، بل يجب أنْ تكون هناك جودة فكرية وأدبية تعكس نضجًا وفهمًا عميقًا للقضايا المطروحة. الأدب والفن الحقيقيان هما ما يترك أثرًا مستدامًا في نفوس القراء والمجتمع، ويقدم رؤية جديدة تتجاوز الحدود التقليدية

الموقف الثقافي - الثقافة والمثقف

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

د. محمد الجرطي

مترجم وأديب . المغرب

لقد بات مصطلح الثقافة مصطلحاً إشكالياً تتعدد التعريفات بخصوصه، وهو ما يطرح معضلة كبيرة لها انعكاسات وخيمة على المجتمعات بسبب الاختلاف والتباين في تحديد هذا المفهوم العصي على الاختزال في تصور أحادي ومتجانس.

وللحد من هذا الانفلات في صياغة مفهوم الثقافة، أرى من اللازم الانطلاق من المفهوم الأنثروبولوجي للثقافة الذي ينظر إليها باعتبارها نشاطاً ذهنياً أنتجه الإنسان لتسخير الطبيعة لصالحه، وهو ما يذهب إليه رائد النقد الثقافي رايموند ويليامز في كتابه «الثقافة والمجتمع»، حيث يرى أنَّ الثقافة هي مفهوم معقد ومتشابك وديناميكي يغطي جوانب متعددة من الوجود الإنساني، بما في ذلك الفنون، والآداب، والعلوم، والتقاليد. فالثقافة ليست بنية ثابتة وسكونية، بل على النقيض من ذلك كيان يتطور ويتغير بتغير المجتمعات والمعارف والنشاط البشري عموماً.

الثقافة ليست بنية ثابتة وسكونية، بل على النقيض من ذلك كيان يتطور ويتغير بتغير المجتمعات والمعارف والنشاط البشري عموماً

فضلاً عن هذا، ثمة مفهوم آخر للثقافة، وهو المفهوم الأكاديمي الذي يُعرّف الثقافة في إطار التخصصات. فالفيلسوف تكمن مهمته في صناعة المفاهيم والأفكار والتصورات. وانطلاقاً من منظور التخصص، ثمَّة ثقافة عامة وثقافة خاصة، أي الثقافة التي تخص حقلاً معرفياً معيناً يبقى منيعاً على غير المتخصصين كالهندسة والطب والميكانيكا وغيرها من التخصصات. لكن كما ترى الكاتبة يمنى العيد، كل ما هو ليس في صالح الإنسان ليس بثقافة. فالأسلحة الفتاكة ووسائل الدمار وما شابه ذلك هي إحدى مَرَضِيات التاريخ والوجه البشع للحضارة المادية البائسة.

من البديهي أنَّ الحديث عن مفهوم الثقافة يدفعنا إلى الحديث عن مفهوم المثقف المنتج للمعارف والنظريات. فالمثقف هو ضمير الإنسانية النقدي. وانخراطه في المجتمع والمؤسسات الثقافية وعلى رأسها الجامعات ومراكز الأبحاث يدفعه إلى اتخاذ مواقف إنسانية والاصطفاف في هذا الجانب أو ذاك

المثقف هو ضمير الإنسانية النقدي. وانخراطه في المجتمع والمؤسسات الثقافية وعلى رأسها الجامعات ومراكز الأبحاث يدفعه إلى اتخاذ مواقف إنسانية والاصطفاف في هذا الجانب أو ذاك

ولعل هذا ما حدا بالمفكر إدوارد سعيد إلى تحديد مفهومين للمثقف: المثقف التقليدي الذي تحاصره بلا هوادة مشكلة الولاء للسلطة، فيناصرها بعيداً عن القيم الإنسانية وصوت العدالة، والمثقف العضوي الذي ينحاز إلى الحقيقة ويجاهر بقولها في وجه السلطة، ويلزم وجوده بمناصرة قضايا الإنسانية مهما كان الثمن

في الواقع، إنَّ تعدد التصورات والمفاهيم أدى إلى فوضى ثقافية خلقت هشاشة فكرية وقضت على إنتاج المعارف والرؤى الكفيلة بتحقيق نهضة حضارية وثقافية. لضبط مصطلح الثقافة، من الواجب إدراج الثقافة في إطار التخصص للحد من التطفل على تخصصات تكون بعيدة عن بعض الباحثين. لكن من جهة أخرى، يطرح مصطلح التخصص بدوره إشكالية، لأنه، في تصور يوري لوثمان، ليس هناك ثقافة، بل ثقافات. ومن ثم وجب على المؤسسات أن تلعب دوراً مهماً لضبط هذا الانفلات من خلال دور الجامعات في وضع برامج جامعية تُدَرّس وحدات متخصصة مثل وحدة « الدراسات الثقافية »، و« ثقافة ما بعد الحداثة ».

تكمن أخطار توسيع مفهوم الثقافة في الدرس الجامعي الذي تجاوز مفهوم النص إلى الخطاب، وجعل من كل النصوص خطابات ثقافية، وفتح الباب على مصراعيه لكل التخصصات الأخرى لتحشر نفسها في دراسة النصوص. فألفينا أنفسنا أمام عالم الاجتماع يبحث في النصوص عن ظواهر اجتماعية، وعالم النفس يسبر أغوار النص باحثاً عن عُقد ومكبوتات، والأنثربولوجي ينقب عن عادات وتقاليد، والناقد الأدبي يبحث عن قيم فنية وجمالية. وهكذا انتفت مهمة الناقد الذي أصبح يزاحمه متخصصون آخرون في حقول معرفية أخرى بعيدة عن الأدب.

أما تضييق مفهوم الثقافة فله سلبيات أخرى يبقى المتضرر الأكبر منه هو ثقافة الهامش أو الثقافة الشعبية في مقابل الثقافة العالِمة. ذلك أن الثقافة الشعبية يُنظر إليها بشكل دوني رغم ما تزخر به من قيم معرفية ومغزى ثقافي عميق.

في الختام، يجب التأكيد على أنَّ الوسيط الأنسب للتثقيف ونقل المعارف هو الكتاب كوسيط مركزي لا غنى عنه، وإن كانت وسائط الإعلام تلعب دوراً كبيراً في التعريف بالكتب وتسهيل التواصل. لكن هذه السهولة انعكست بشكل سلبي على المجتمعات من خلال سهولة نشر الرداءة والسطحية والتعتيم الثقافي، ولعل هذا ما جعل الكاتب الإيطالي أمبرتو إيكو يقول في هذا الصدد: «إن وسائل التواصل أتاحت لجحافل من الأغبياء أن يتحدثوا وكأنهم علماء»

المتضرر الأكبر من تضييق مفهوم الثقافة هو ثقافة الهامش أو الثقافة الشعبية في مقابل الثقافة العالِمة. ذلك أن الثقافة الشعبية يُنظر إليها بشكل دوني رغم ما تزخر به من قيم معرفية ومغزى ثقافي عميق

الموقف الثقافي - الثقافة والمثقف

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

أ.د. منجي الزيدي

أكاديمي . تونس

عند الحديث عن ضبط مصطلح «ثقافة» وتحديد معاييره، نجد أن هذا المصطلح حمّال أوجه، حيث أحصى الباحثون عشرات التعريفات وصنّفوها في تصنيفات اختلفت وتنوّعت باختلاف زوايا النظر والتخصّصات والمقاصد. المفهوم يبدو بديهياً ومن باب «تحصيل حاصل» ولا يحتاج إلى عناء التحديد، غير أنه يبدو «بداهة خاطئة» لكلمة «فخ»، كما قال إدغار موران. عبارة «ثقافة» العربية حديثة قد يعود تاريخها إلى بداية القرن العشرين، وهي تعريب لكلمة Culture، ومصدر تعريبها غير معلوم، كما أكد مالك بن نبي.

المعنى الإيتيمولوجي الأصلي للعبارة اللاتينية فلاحة الأرض. تحولت الدلالة من حقل الإخصاب المادي إلى سجل تنمية الأفكار والمعارف في القرن الثامن عشر بفضل عصر الأنوار. غدت الكلمة تعني تطوير العلوم والفنون وتنمية الملكات الفكرية للإنسان. ودلّت عبارة Kultur الألمانية على أن «الثقافة هي خاصية الإنسان المتعلم الذي طوّر ذوقه وحسّه النقدي وقدرته على الحكم والتمييز». وبهذا المعنى ارتبطت بالتعليم والتربية

الأنثروبولوجيا حمّلت الكلمة بثقل معرفي إذ جمعت كل ما يكتسبه الإنسان داخل المجتمع من معتقدات وقيم ومعارف وأساليب تعبير وأنماط عيش، ومن ثمّ وجهت التعريفات اللاحقة، حتى تلك التي اعتمدتها منظمة اليونسكو سنة 1982 في مكسيكو بعد قرن من تعريف تايلور. وظل التعريف ثابتاً رغم بعض التعديلات الجزئية. ويزداد تعريف الثقافة تعقيداً بحكم وجوده ضمن مقابلات من قبيل: الثقافة/الحضارة؛ الثقافة/الطبيعة. كما نشأت منذ القرن العشرين مفاهيم فرعية تتصل بالعلاقات بين الثقافات داخل المجتمع الواحد وبين المجتمعات المختلفة مثل «التثاقف والتفاعل الثقافي والتماس الثقافي وغيرها» وقد يضم مجتمع واحد العديد من الثقافات حسب تنوعه الاثنولوجي وتركيبته السكانية؛ ناهيك عن إمكانية تشكّل ثقافات صغرى مرتبطة بفئات اجتماعية (عمّال، فلاحون...) أو شرائح

قد يضم مجتمع واحد العديد من الثقافات حسب تنوعه الاثنولوجي وتركيبته السكانية؛ ناهيك عن إمكانية تشكّل ثقافات صغرى مرتبطة بفئات اجتماعية

عمرية (أطفال، شباب...). وقد نحتت الدراسات السوسيولوجية والإنثربولوجية مفهوم الثقافة الفرعية للتعبير عنها

الثقافة أساسها التنوّع والثراء، فهي تتخذ أشكالا متنوعة ومختلفة، منها المادي وغير المادي، ومنها الثابت ومنها المتحوّل، ومنها العملي ومنها التجريدي. والثقافة هي التي ترتقي بأنشطة الإنسان إلى درجة ثانية من المعنى ذلك أنها فضاء التعبير والخيال والإبداع والابتكار. والثقافة هي البصمات التي يتركها البشر في رحلة الوجود. لذلك نجدها تُعبّر عن أعمق ما في شخصية الشعوب. ورغم صعوبة الفصل بين مستويات الثقافة ومجالاتها فإنه يمكن أن نتبين أنَّ هنالك مستوى شاملاً يحتوي على أغلب العناصر الروحية والفكرية والسلوكية والمادية لحياة الإنسان ومستوى ثانياً يحدد الثقافة في مجال الفن والفكر والتعبير

الثقافة هي التي ترتقي بأنشطة الإنسان إلى درجة ثانية من المعنى ذلك أنها فضاء التعبير والخيال والإبداع والابتكار

ولا يقلّ مصطلح المُثقّف تعقيداً وتعدّداً عن مصطلح ثقافة. والشخص الثَّقِفُ في لسان العرب هو ذو الفطنة والذكاء والمُراد به أنه ثابت المعرفة. وكثيراً ما يقع الخلط بين المثقّف والمتعلّم. وبين المثقّف والمتحضّر. وقد أدّى الجدل في الغرب بين مفهومي الثقافة والحضارة مع منتصف القرن التاسع عشر إلى تَدرُجِيّة تمرُّ بالإنسان من مُتحضِّر Civilisé إلى مُثقَّف Cultivé إلى مُكوَّن Formé، وذلك بحسب ما جاء في كتاب «سوسيولوجيا الثقافة» للطاهر لبيب

بَيد أن كلمة مُثقَّف في استعمالها الفكري هي ترجمة للفظة Intellectuel، وهي تدل بشكل عام على فئة معيّنة حازت قدراً من المعرفة و العلم والوعي، وتشتغل في حقل الأفكار والرموز، وتتمتع بمكانة مميّزة في المجتمع. وبالفعل، فقد ظهر منذ اختراع الكتابة و نشأة الأديان من يحترف الفكر والثقافة

والعلم. ووظيفة هؤلاء إنتاج الخطابات الضامنة لهوية الجماعة والقيم المركزية السائدة فيها وبثّها في الزمان والمكان، كما جاء في كتاب «سوسيولوجيا المثقفين» لجيرار لوكليرك

وتعريف «المثقف» ذو بعدين. بعد ثقافي/معرفي وبعد اجتماعي سياسي: في البعد الثقافي المعرفي، اتجه بعض الدارسين إلى تعريف المثقف في نطاق السياسة الثقافية ومجالات ممارستها، فأدرج المثقف ضمن الأوساط المرتبطة بوظائف فكرية فنية وثقافية. فهو الذي يتعامل إنتاجاً واستهلاكاً ونشراً مع الأفكار، سواءً أكانت أدبية، أو علمية، أو فكرية، أو إيديولوجية. وبالتالي فهو يحتاج إلى «فضاء حقيقي يرعى إنتاج هذه الأفكار بوصفها ثروة جماعية لا فردية فحسب». وهذه الأماكن متنوعة وقد تطورت عبر التاريخ من القصور إلى الصالونات الأدبية إلى الجامعات ومراكز البحث ودور النشر، والفضاء العام، والصحافة، والإعلام.

من هذه الوجهة، المثقفون هم من «يبدعون ويوزّعون ويمارسون الثقافة أي العالم الرمزي الخاص بالإنسانية والذي يتضمن الفن والعلم والدين». ويُنظَر إليهم بشكل عام، باعتبار أنهم يشكلون «الجماعة الأصغر التي تتألف من أولئك الذين يسهمون مباشرة في ابتكار ونقل ونقد الأفكار. وتضمّ هذه الفئة المؤلفين، والفنانين، والفلاسفة، والمفكرين، والمتخصصين في النظريات الاجتماعية، والمعلقين السياسيين. وقد يصعب تعيين حدود هذه الجماعة تماماً، ذلك أن المستويات الدنيا منها تختلط بمهن الطبقة الوسطى مثل التدريس والصحافة، لكن الخصائص المميزة لها - التي تتعلق مباشرة بثقافة المجتمع- واضحة وضوحاً كاملاً، وذلك كما ورد في كتاب الصفوة والمجتمع، دراسة في علم الاجتماع السياسي لبوتومور

بالنسبة للمؤسسات الثقافية الرسمية **ودورها في ضبط مفهومي «الثقافة» و«المثقف»**، فأعتقد أنَّ المؤسسات الثقافية جهة رسمية تسهر على تجسيم السياسة الثقافية لبلد من البلدان. وقد تكون مختصة في الميدان الثقافي الذي يشمل الفكر والفنون والآداب والتراث، وقد تكون تربوية

كلمة مُثقَّف في استعمالها الفكري هي ترجمة للفظة Intellectuel، وهي تدل بشكل عام على فئة معيّنة حازت قدراً من المعرفة والعلم والوعي، وتشتغل في حقل الأفكار والرموز، وتتمتع بمكانة مميّزة في المجتمع

اجتماعية تُعنى بالتنشئة والتعليم وكل ما يتعلق بخدمة المجتمع. بهذا التعريف تكون هذه المؤسسات المرجعية الرسمية لتحديد الجهات والفاعلين المعنيين بالثقافة. وهي تقوم بهذه الوظيفة لخدمة مصالحها الوطنية وفق منظومات قيمها وخصوصيات، واقعها ومشاريعها التنموية والاستراتيجية. وتكون عملية ضبط مفهومي «الثقافة» و«المثقف» في علاقة عضوية باحتياجات المجتمع وتطلعاته. لا يتعلق الأمر بالانتقاء بقدر ما يتصل بالتنظيم المعرفي والمنهجي الذي يساعد على التخطيط والبرمجة، والتنفيذ، والتمويل، والتقييم. كل بلد له معاييره ومقاييسه، ولكن في العموم الثقافة هي ما يجسم الهوية الوطنية ومناعتها، ويعزز التماسك الاجتماعي، ويخدم التنمية. والسياسة الثقافية هي الأجهزة والأذرع التنفيذية التي تحوّل الرؤية إلى واقع. أمَّا المثقف فهو الفاعل الرئيس الذي يغذي الرؤية ويستنبط الأفكار وينير السبيل لبقية أفراد المجتمع بما يساعدهم على إدراك ما يجمعهم فيتّبعوه وينبّههم لما يُفرقهم فيجتنبوه، ويكون ذلك بصناعة المضامين والإبداع وقيادة الرأي العام بصدق ووطنية ومسؤولية

يجب أن تتم عملية ضبط مفهومي «الثقافة» و«المثقف» في علاقة عضوية باحتياجات المجتمع وتطلعاته. لا يتعلق الأمر بالانتقاء بقدر ما يتصل بالتنظيم المعرفي والمنهجي الذي يساعد على التخطيط والبرمجة، والتنفيذ، والتمويل، والتقييم

وفيما يتعلق بالمخاطر المرتبطة بتضييق مفهوم الثقافة أو توسيعه، فمن الواضح أنَّ كل تعريف للثقافة على المستوى التنفيذي هو اجرائي بالضرورة. وهنا مسؤولية الجهة التي تنهض بعملية

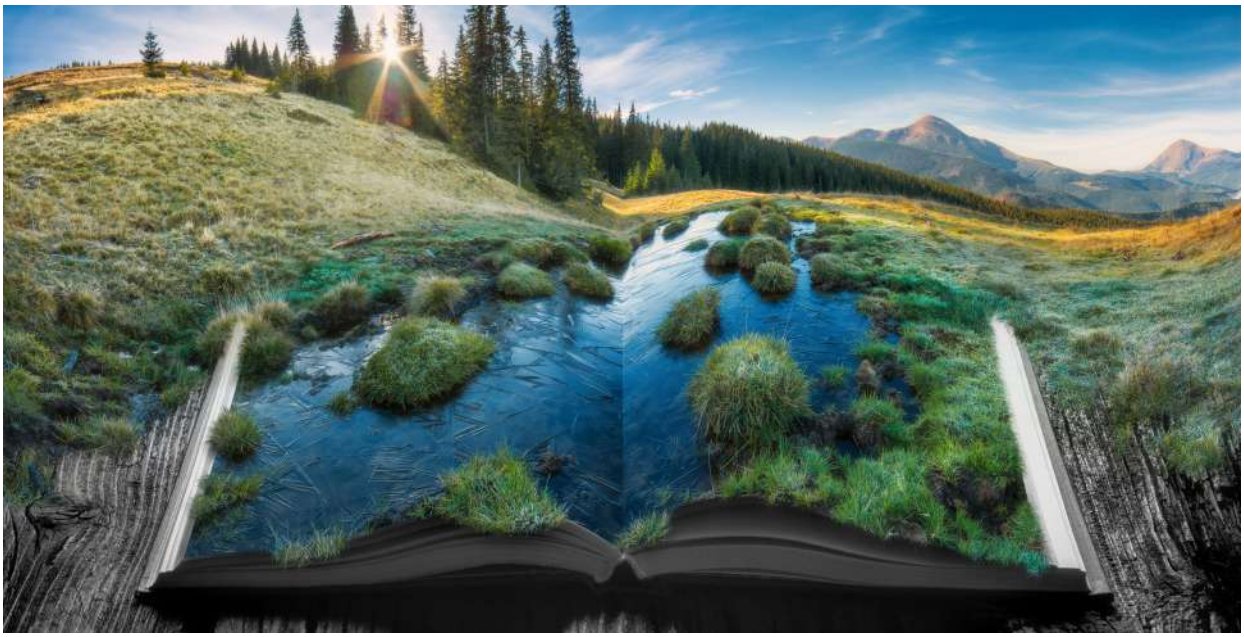

التحديد. ثمّة مبادئ أساسية تُجمع عليها الدول وهي ليست محل خلاف، ولكن هناك خصوصيات محلية لا يمكن تجاهلها أو التعسف عليها. التعميم والتنميط بذريعة «الحرية» أو «الكونية» أو «الإنسانية» قد يكون غطاء لهيمنة ثقافية مُغلّفة، ولقد تم اختبار ذلك منذ تذرّع الاستعمار «بنشر الحضارة» وإخراج شعوب من «تخلّفها» بما أنذر بتدمير خصوصياتها، وتفكيك منظومات قيمها، وإضعاف لغاتها وأساليب تعبيرها. من ناحية أخرى الثقافة لا تحتمل التضييق فهو يقتل الإبداع، ويؤدّي إلى احتباس الفكر والتعبير، ولا يساعد على تنمية الشخصية الوطنية وحضورها في الخارج، ويخدم بطريقة غير مباشرة نزعات الجمود والانغلاق

صناعة المضامين الإلكترونية أفرزت وسائط جديدة لا يمكن تجاهلها أو الاستغناء عنها لأنها السبيل الأحدث للوصل إلى الجماهير

أمَّا الوسائط الثقافية فهي مصطلح حديث مرتبط بمفهوم السياسات الثقافية في الجانب المتعلق بنشر الثقافة في المجتمع. ظهرت الحاجة إلى المفهومين مع ظهور مفهوم الثقافة الجماهيرية منذ نهاية القرن التاسع عشر في المجتمعات الصناعية حيث ساعدت الصناعة وتطور وسائل النقل على تصنيع الإنتاج الثقافي ونشره على نطاق واسع. حينها طُرح مفهوم الثقافة في إطار مقابلة الثقافة النخبوية («الثقافة العالمة» أو «الثقافة المثقفة») التي تستوجب درجة عالية من التعليم، بمواجهة الثقافة الجماهيرية واسعة الانتشار، وذات الطابع الاستهلاكي والترفيهي الشعبي، المتاحة للعامة دون حاجة إلى بلوغ مستوى تعليمي مرتفع. انقسمت السياسات بين مفهومي «ديموقراطية الثقافة» وتعني نشر الثقافة النخبوية في الأوساط الشعبية و«الديموقراطية الثقافية» التي تشجع تنوع التعبيرات والممارسة الجماهيرية لثقافة تستجيب لميول الجماهير ورغباتها.

كانت المؤسسات الثقافية الكبرى (المكتبات، المراكز الثقافية، دور النشر...) هي الوسائط التقليدية لنشر الثقافة معززة بالجهات الأكاديمية ومدارس النقد الفكري والإعلام الثقافي. وكانت تقابلها وسائل الإعلام السمعي البصري. منذ عقدين دخل العالم طور الثقافة الرقمية. تغيرت سلسلة الإنتاج الثقافي من نمطها التقليدي إلى نمط شبكي. تغيرت مقاييس الاعتراف بالفنان والكاتب والرسام...

صناعة المضامين الإلكترونية أفرزت وسائط جديدة لا يمكن تجاهلها أو الاستغناء عنها لأنها السبيل الأحدث للوصل إلى الجماهير. هنا نحن أمام معضلة. مسؤولية التعديل ملقاة على عاتق السياسات الثقافية العمومية فهي الجهة التي بإمكانها دعم الإنتاج الثقافي ونشره من ناحية، وهي الأقدر على استحداث آليات لرفع الوعي والقدرة على التمييز بين الغث والسمين من ناحية أخرى.

وأخيراً، تكمن قيمة الإنتاج الثقافي في مستوى مضمونه ورسالته وأسلوب صياغته. المؤسسات الثقافية والأكاديمية هي التي تحدد هذه القيمة. الوسيط أو أداة النشر أمر مهم لأنه يضمن الانتشار في العصر الرقمي، ولكن الانتشار لا يعني الجودة و لا يمنح صفة المثقف أو الفنان كما لا يمكنه نزعها. الانتشار الجماهيري ضروري، ولكنه غير كاف. وأعتقد أن تربية الناشئة على الفنون والآداب والإبداع هو السبيل الذي سيكسبها القدرة على التمييز. هنالك حاجة للفصل بين الترفيه والتثقيف. لا ضرر في التسلية، ولكن لا يجب أن تكون هي المهيمنة.

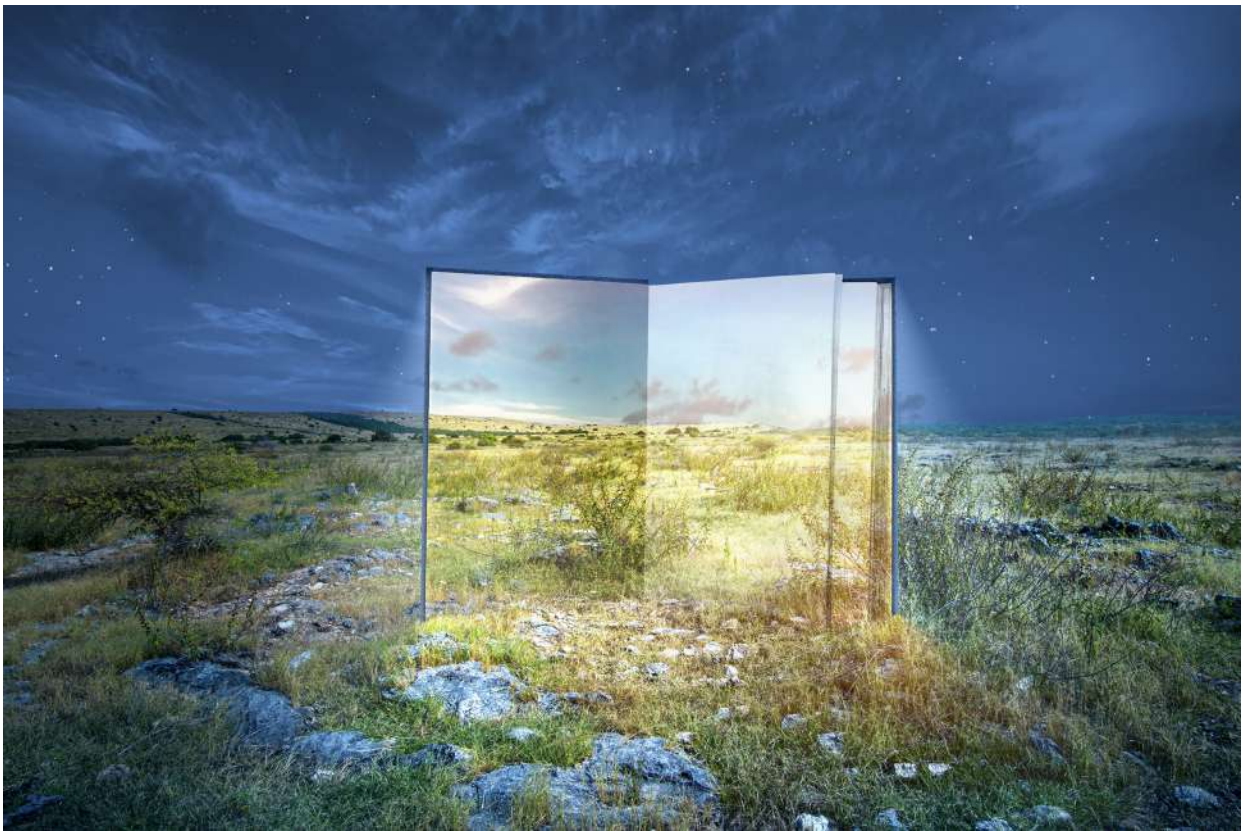

الموقف الثقافي - الثقافة والمثقف

مفهوم الثقافة .. ومن هو المثقف؟

الخلاصة:

وبعد استعراض هذه الآراء يمكن الخروج بالنتائج الآتية التي تمثل خلاصة ما طرحه خبراء الثقافة من مقترحات وسياسات لتعزيز الوعي بالإشكالات المتعلقة بمفهومي «الثقافة» و«المثقف» والإسهام في ضبطهما منهجيا بما يخدم الحالة الفكرية والمعرفية في العالم العربي:

أولاً: الانتقال من حالة الاستسهال والتعميم في استخدام مفهومي «الثقافة» و«المثقف» الى حالة الوعي والتقنين، وذلك من خلال ضبط هذين المفهومين، والوعي بدور المثقف والثقافة في بلورة الهوية الفردية والجماعية وإنتاج أنساق معرفية وقيمية تواكب متطلبات العصر

ثانياً: الإقرار بدور ما يسمى بـ«المؤثرين الجدد» على شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل ثقافة هذا العصر ونقلها إلى الناشئة، مع العمل على الرقي بالمحتوى الذي يقدم من خلال هؤلاء المؤثرين وإخضاعه لمعايير معينة لضمان إسهامه في رفع الوعي الثقافي وتعزيز الحالة المعرفية

ثالثاً: الانفتاح على الكتاب الرقمي ووسائل التواصل المتاحة وإنتاج محتوى ثقافي ومعرفي منسجم مع القيم الاجتماعية والإنسانية وقادر على الرقي بالذوق العام، فالثورة الرقمية وما صاحبها من تغيرات تفرض إعادة النظر في دور الإعلام والوسائط الثقافية وآليات الكتابة والنشر، وكذلك أنماط التلقي الجديدة الأكثر ملاءمة لتطلعات واهتمامات الأفراد والجماعات

رابعاً: تعزيز دور المثقف الفرد ومؤسسات المجتمع المدني في تشكيل الضوابط المتعلقة بمفهومي «الثقافة والمثقف»، بحيث يتم الانتقال من صيغة العمل المؤسسي الذي تنفرد فيه المؤسسة الثقافية الرسمية بالعمل إلى المشاركة الواسعة ومأسسة التفكير في المفهوم والقضايا المرتبطة به

خامساً: الدفع باتجاه مفهوم فاعل ومسؤول للمثقف يقوم على النظر إلى «المثقف» بوصفه الشخص الذي يعبر عن ضمير الأمة وحركة التاريخ، ويتخذ مواقف مبدئية في مواجهة تجهيل المجتمع ونشر السطحية والابتذال والتفاهة في المجتمع من خلال وسائل الإعلام والاتصال الاجتماعي، ويضطلع بدوره في معركة التنوير وتنمية الوعي.

سادساً: أن تعمل المؤسسات الثقافية الرسمية على إدارة الشأن الثقافي في البلاد بحكمة، وضبط مفهوم الثقافة عن طريق توفير المناخ الأفضل لتنمية فضاء الثقافة وازدهارها في المجتمع من خلال ترسيخ حرية التفكير والإبداع، والانتقال من ثقافة الدولة إلى دولة الثقافة، وذلك عن طريق تعزيز دور الثقافة في بناء الوعي وخدمة الأهداف الوطنية الكبرى، وربط الثقافة في بُعديها الوطني والإنساني بالمشروع المجتمعي الوطني الحداثي، والذي يعتبر الثوابت الوطنية والتنوع الثقافي والتعددية الثقافية أمراً أساسياً في كل عمل ثقافي وفني وإبداعي

سابعاً: أن تعمل المؤسسات الثقافية الرسمية على تحرير إرادة المثقف في الفضاء الثقافي الوطني، وإطلاق روحه الإبداعية، والنهوض بالفكر الحداثي التنويري الحر، وتشجيع النقد العقلاني، والتصدّي للخطاب الذي يزرع الجهل وينشر التفاهة عبر وسائل التواصل الإعلامي والاجتماعي.

ثامناً: تحويل العمل الثقافي إلى صناعة منتجة، من خلال التركيز على المحتوى الثقافي الذي يعزز الهوية الثقافية والوطنية، ودعم «الثقافة» عبر تعزيز دورها في الرعاية والمتابعة والتمويل والتشريع، وتشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في مشاريعها

تاسعاً: تعزيز التكامل بين الوسائط التقليدية للثقافة كالكتب والمجلات ونحوها وبين الوسائط الحديثة كوسائل التواصل الاجتماعي، وذلك بهدف تحقيق توازن مثالي في نقل الثقافة وتعزيز الفكر، حيث يتم استخدام الكتب والصحافة لتعزيز المعرفة، ووسائل التواصل الاجتماعي لزيادة الانتشار والتفاعل

عاشراً: تعزيز عملية ضبط مفهوم «الثقافة» من خلال إدراج الثقافة في إطار التخصص للحد من التطفل على تخصصات تكون بعيدة عن بعض الباحثين، وتفعيل دور الجامعات في وضع برامج جامعية تُدَرّس وحدات متخصصة مثل وحدة «الدراسات الثقافية»، و«ثقافة ما بعد الحداثة»

الموقف الثقافي

مركز الخليج للأبحاث
البرنامج الثقافي والإعلامي

Gulf Research Center
Knowledge for All

www.ar.grc.net

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation Geneva

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

Avenue de
Cortenbergh 89
4th floor, 1000
Brussels
Belgium

@Gulf_Research Gulfresearchcenter gulfresearchcenter gulfresearchcenter

www.grc.net

مركز الخليج للأبحاث